الصومال : عضو جديد بالجامعة العربية

الدكتور محمد عبد الغنى سعودى *

ثلاثة أحداث تمثل معالم الطريق فى تاريخ الصومال المعاصر ، أولها نوفمبر (تشرين الثانى) عام ١٩٤٩ حين أقرت هيئة الأمم المتحدة فى ذلك الشهر منح صوماليا (الصومال الجنوبى)[١] استقلالها بعد عشر سنوات من موافقة الجمعية العامة على شروط اتفاقية الوصاية ، على أن تتولى ايطاليا إدارة البلاد وتأهيل سكانها للاستقلال تلك الفترة . وكان هذا حدثا فى تاريخ الأمم المتحدة بتحديد تاريخ مسبق للاستقلال تلتزم به الدولة التى تقوم بإدارة الإقليم ، كما كان فيه تجاهل للاتجاه الغربى (الاستعمارى) الذى ينادى بالتدرج فى منح الاستقلال ، وأن الاستقلال التام لا يصبح مستقراً وآمنا إلا بعد فترة طويلة من النضج الدستورى والوعى الشعبى ، كلها حجج لتعطيل هذا الاستقلال . وثانيها ظهور جمهورية الصومال كدولة مستقلة فى الفاتح من يوليه (تموز) سنة ١٩٦٠ نتيجة توحد الصومال الشمالى والصومال الجنوبى ، وبذلك خرجت إلى الوجود دولة افريقية جديدة كحلقة فى سلسلة الحلقات الاستقلالية التى تتابعت فى ذلك العقد والذى سمى بعقد التحرير وثالثهـــا هو ثورة أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٩ الذى بدأت فيه الصومال الخروج من عزلتها ، وتسهم فى نشاط القارة الافريقية ، لعل أوضحها دور الوساطة بين أوغندا وتنزانيا فى صيف ١٩٧٢ حين تأزم الموقف

(*) أستاذ الجغرافيا المساعد — معهد البحوث والدراسات الافريقية — جامعة القاهرة .

(١) يقصد بالصومال الجنوبى الصومال الإيطالى سابقاً ، والصومال الشمالى الصومال البريطانى سابقاً .

بينهما إلى حد المواجهة المسلحة . وتجلى أيضاً فى افتتاح خط برقى بين نيروبى ومجاديشو فى يونيه (حزيران)١٩٧١ ،وفى تعاون الخطوط الجويةلشرق افريقية مع الجوية الصومالية فى الوصل بين نيروبى ومجاديشو ، كما بدأت كينيا فى عقد صفقات مع الصومال لشراء اللحوم المحفوظة . غير أن الانفتاح تجلى مع العالم الخارجى فى التعامل مع الشرق وهو ماكان غير مسموح به من قبل ، فزاد الخبراء السوفييت إلى ما يقرب من ٨٠٠ عام ١٩٧١ ، وعقدت اتفاقيات مع الاتحاد السوفيتى لتزويد الصومال بأجهزة البحث عن المعادن وغيرها من أوجه التعاون الاقتصادى والفنى . وكذلك انفتحت على الصين فى اتفاقية مماثلة لغرض التوسع فى تجارب زيادة إنتاج الأرز والتبغ وإنشاء مصنع للكبريت والسجاير فضلا عن مد طريق من بلت وين إلى بندرقاسم ومن جارو إلى هرجيسه ، وليس معنى هذا الاتجاه نحو الشرق ، فما زالت علاقتها حسنة بدول الغرب التى تظهر تجاهها نوايا حسنة ، فهناك اتفاق للتعاون الفنى والثقافى بينها وبين ايطاليا ، فضلا عن اتفاق اقتصادى تمنح الصومال قرضا قدره نحو ١١ مليون دولار يدفع على أربع سنوات ابتداء من ١٩٧١ لتمويل مشروعات التنمية ، وأصبح شعار الصوماليين اليوم : الاعتماد على النفس ، المساواة ، الوحدة ، التقدم Haul, Iyo, Hanti, Wadag

الصوماليون والتأثير العربى

عرف سكان الإقليم بأسماء متعددة خلال التاريخ . فقد أطلق عليهم الإغريق القدماء والرومان لفظ البربر ، ومازال الاسم يذكر إلى اليوم ممثلا فى بلدة بربره فى شمالى الصومال . كما أن بعض الأسماء القبلية التى ذكرها العرب فى العصور الوسطى ما زالت ممثلة فى بعض القبائل مثل هوايا Hawya ما زالت تطلق على بعض القبائل الصغيرة ،ولكن تسمية الصومال حديثة نسبياً .

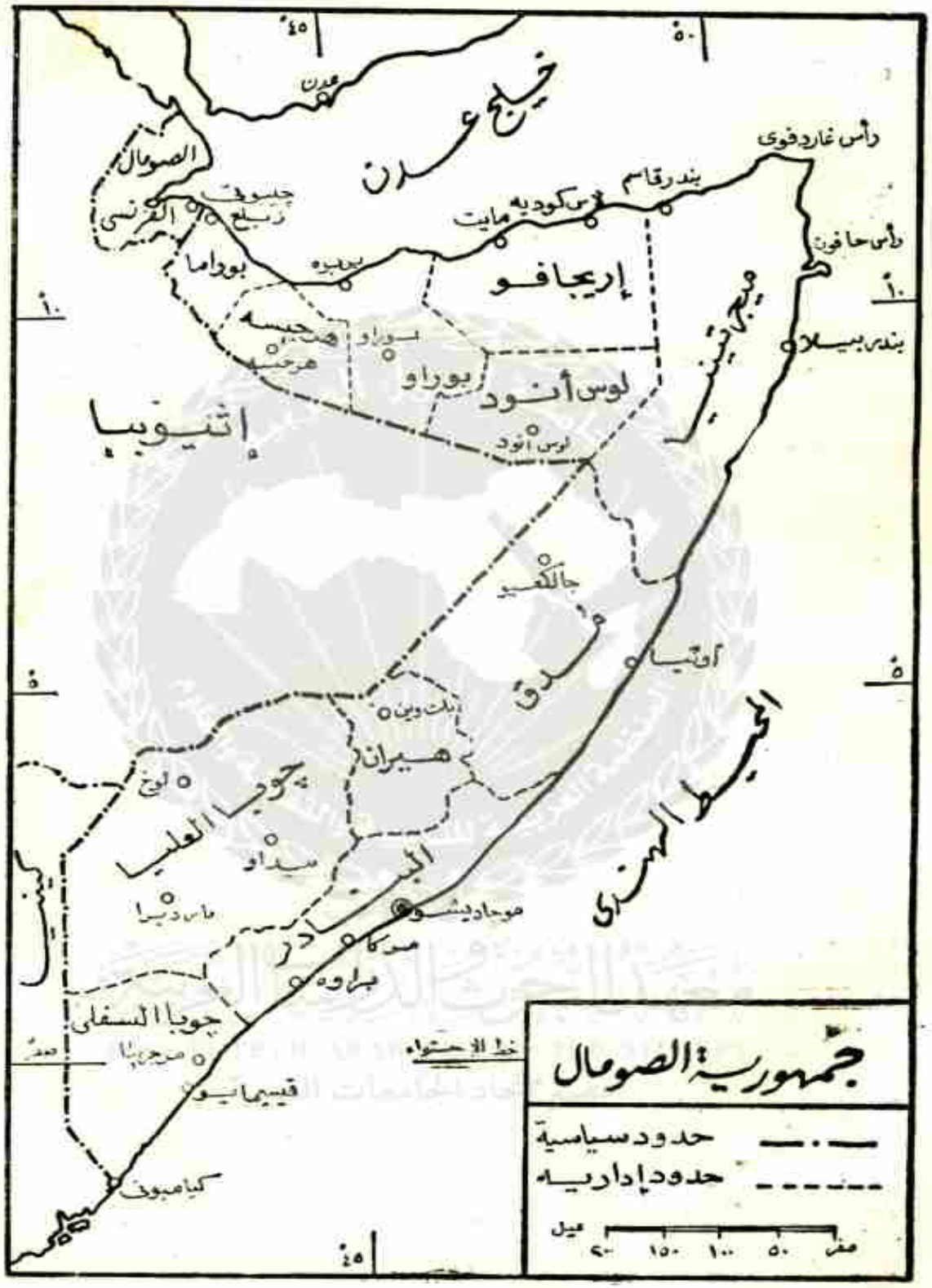
خليج عدن
الصومال الفرنسي
جيبوتي
زيلع
بوراما
بيحبره
هرجيسه
مرجيسه
بوراو
بوراو
لوس أنود
لوس أنود
إثيوبيا
رأس غاردفوى
بندر قاسم
رأس كودبه
مايت
إريجافو
رأس حافون
بندر بيلا
جالكعيو
أوتيا
ورق
البحر الهندي
هيران
بلت وين
لوخ
جوبا العليا
سيدو
طاس دبرا
البساتين
موجاديشو
مركا
براوه
جوبا السفلى
مرجيطا
قيسمايو
كيامبون
خط الاستواء
جمهورية الصومال
حدود سياسية
حدود إداريه
ميل
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠

(شكل رقم ١)

والأصل اللغوى لكلمة الصومال لم يتفق عليه بعد ، فبعض التفسيرات ترجعها إلى كلمة مكونة من مقطعين (صو) بمعنى يذهب أواذهب ، (ومال) بمعنى اللبن ،وتشير بذلك إلى ما يسوقه الغريب حين يحل ضيفا على العشيرة الصومالية ، ويأمر المضيف الولد أو المرأة باحضار اللبن للضيف ٥ ومن التفسيرات ما يذهب إلى أنها مشتقة من (سوماح) وهى كلمة أثيوبية بمعنى غير متحضر . أما تفسير الصوماليين أنفسهم فيرجعونه إلى اسم أسلافهم ، فهم من سلالة تاجر غنى يدعى (ذومال) وهى فى العربية بمعنى الثرى أو الغـــنى .

وسواء كان تفسير كلمة الصومال هذا أو ذاك ، فليس هناك أدنى شك فى الوجود العربى منذ تاريخ غاية فى القدم على السواحل الصومالية ، وهو بطبيعة الحال سابق للإسلام . وكوّن العرب بعد ذلك مراكز ساحلية ، وفى الحق لقد كان الساحل الجنوبى لشبه جزيرة العرب مصدر هجرات عديدة إلى شرق افريقية لجدب البيئة التى جعلتهم يتجهون إلى البحر يلتمسون فيه رزقا ، صيدا وتجارة . وصادف أن كانت الرياح فى المحيط الهندى مثالية للملاحة البحرية فهى تتجه نحو قارة آسيا صيفا ، وهى خارجة من قارة آسيا متجهة إلى شرق افريقية شتاءاً ، من ثم استغل العمانيون والحضارمة حركة الرياح واتجاهها فى علاقتهم مع شرق افريقية ، وبلغت حركة الهجرة ذروتها من القرن السادس إلى القرن التاسع ، وإن كانت لم تبطل بعد ذلك . وعملوا مع ساحل الزنج فى تجارة الأخشاب والتوابل وغيرها ، واستقر بعضهم فى الإقليم ، وساعدوا على نشر الثقافة العربية والإسلامية مع بقية المهاجرين من جنوب وجنوب غرب شبه جزيرة العرب . وفى استقرارهم تزوجوا من الافريقيات ، وهكذا تم الاختلاط عضويا وثقافيا . وتعتبر زيلع وبربره نماذج حية للاستقرار العربى . وقد ظهرت زيلع فى كتابات الجغرافيين العرب لأول مرة فى نهاية القرن التاسع حينما ذكرها اليعقوبى ، ثم تتابع ذكرها لدى الكتاب العرب بعد ذلك ، وكذلك الحال فى بربره وإن كان قد

تأخر ذكرها لدى الجغرافيين العرب إلى القرن الثالث عشر . وهكذا كانت زيلع أكثر موانى الصومال الشمالى شهرة وذيوع صيت، لأنها كانت تصرف منتجات الظهير الحبشى أيضاً ، وعن طريقها وعن طريق تجارها من العرب ، خرجت منتجات الصومال المحلية كالجلود والصموغ وريش النعام، كما كانت تستورد المنسوجات ، والتمور ، والحديد ، والأسلحة ،والأوانى لتعيد تصديرها إلى الداخل . ولم يقتصر التأثير العربى على ساحل الصومال الشمالى ، بل كان فى نمو متزايد أيضاً فى الصومال الجنوبى حيث ظهرت موانى عديدة أهمها موجاديشو العاصمة الحالية وكذلك براوه ، ومركا ، كلها مراكز تجارية يرجع نموها إلى الحركة التجارية بين الداخل وشبه جزيرة العرب وأسواق الشرق . وهكذا ما أن هلّ القرن العاشر الميلادى إلا وكان ساحلا الصومال مرصعان بالموانى والمراكز التجارية التى أقامها العرب ، وكانت هذه بمثابة مواضع أقدام لهم لنشر العروبة والإسلام فى شرق افريقية ، ولم يكن الصومال مهجراً لبعض سكان الجنوب العربى فحسب ، بل حدث العكس أيضاً وانتقل الصوماليون إلى الجنوب العربى ومازالت أكبر جالية لهم فى عدن وتبلغ نحو ٢٠ ألف نسمة .

ولا يقتصر توزيع الشعب الصومالى على حدود جمهورية الصومال الآن بل يمتد فى مساحة ٤٠٠ ألف ميل مربع . أو فى القرن الافريقى بأكمله فيمتد من منتصف الصومال الفرنسى فى الشمال حتى نهر تانا فى كينيا ، كما يمتد داخل حدود أثيوبيا ، ومن ثم يبلغ عدد الصوماليين نحو ٤ مليون نسمة منهم فى جمهورية الصومال وحدها نحو ٢,٢٥ مليون ، وفى أثيوبيا نحو المليون ، وفى كينيا نحو ٢٠٠,٠٠٠ ، وفى الصومال الفرنسى نحو ٣٧ ألفا . وينتشر الصوماليون أيضاً خارج القرن الافريقى ، فقد عرفوا بالحركة والنشاط ، فكثيراً ما نجدهم يعملون تجارا فى موانى ومدن شرق افريقية بعامة كما يمثلون جالية كبيرة على الجانب المواجه وخاصة فى عدن كما ذكرنا

ويذهبون إلى أبعد من هذا إلى موانى الخليج العربى من ناحية كما يشاهدون فى كثير من الموانى الأوربية مثل نابولى ، ولندن، وكارديف ، ونيويورك .

ويمثل الصوماليون قومية واحدة من أكبر القوميات المتماسكة فى افريقية ، ذلك أنهم متجانسون إلى حد كبير ، ساعد على هذا التماسك وتلك الوحدة أنهم مغايرون ومتميزون عما حولهم سواء من ناحية اللغة أو الدين أوالعادات والتقاليد فيضم الإسلام الصوماليين جميعا ، من ثم اختلفوا عن جيرانهم فى أثيوبيا وكينيا ، وإذا كان الفرق واضحا بينهم وبين الجالا الوثنيين ، فإن هذا الفارق أقل وضوحا بينهم وبين جيرانهم من الدناكل لاتحادهم فى الدين . وتنتشر الطرق الصوفية فى الصومال وبخاصة أربع طرق لها تأثير كبير على حياة الصوماليين وهى القادرية ،والأحمدية ، والصالحية ، والرفاعية .

واللغة الصومالية هى لغة حامية وتنتمى إليها لغة الجالا وغيرها من اللغات التى تحيط بأثيوبيا شرقا ومع ذلك تضم اللغة الصومالية كثيراً من الألفاظ العربية ، والعربية منتشرة انتشاراً كبيراً فى أنحاء البلاد وهى بمثابة اللغة السامية يعرفها المتعلمون الصوماليون ، وحتى الصحف التى تصدر بالإنجليزية والإيطالية تضم قسما منها باللغة العربية مما يدل على قوة العربية فى الصومال .

وتتعدد لهجات الصومال وإن كان يمكن جمعها فى ثلاث:

الأولى يتكلمها الصومال الرعاة ، والثانية يتكلمها الساب الزراع ، والثالثة يتكلمها سكان المدن الساحلية ، ورغم اختلاف هذه اللغات نطقا ، فكلها مفهومة لدى الصوماليين ، ولايوجدحاجز لغوى بين أفراد الشعب الصومالى مهما تباعدوا . وقد ظلت الصومالية لغة غير مكتوبة وإن كانت غنية بآدابها شعراً ونثراً . واختلفت الآراء فيما يختص باستعمال الحروف لكتابتها ، وكانت هناك ثلاثة اقتراحات لاستعمال الحروف العربية أو اللاتينية أو العثمانية وهذه طريقة خاصة نسبة إلى مخترعها(يوسف كناديد عثمان) .

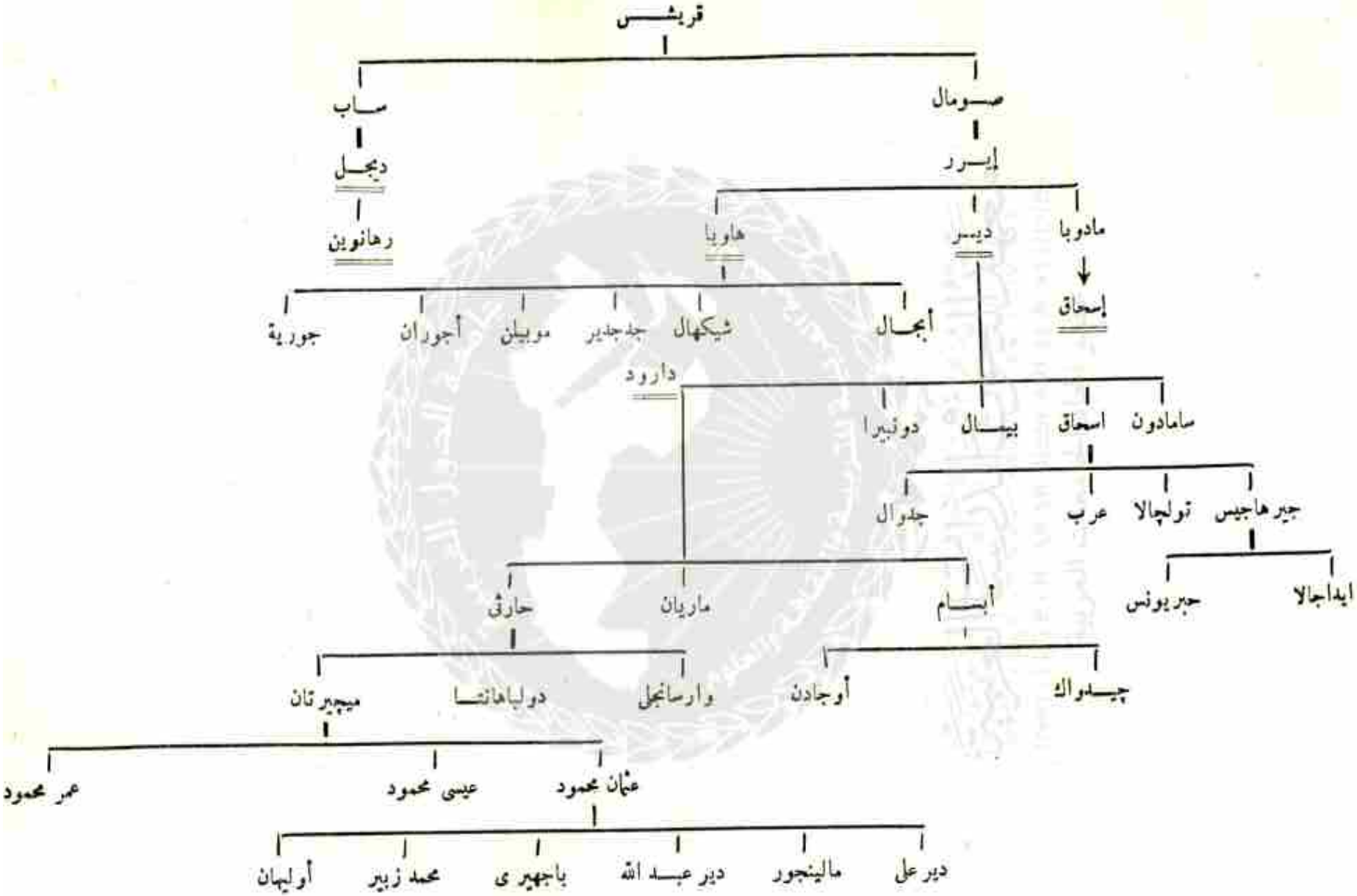

١ – تزوج داورد وهو من أصـــل عربى بنت دونبيرا .

وقد قررت حكومة الصومال فى ٢١ يناير (كانون الثانى) ١٩٧٣ اتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة اللغة الصومالية ، ومن ثم لتكون اللغة الرسمية للبلاد ، وهذا معناه التحول عن اللغتين الإنجليزية والإيطالية اللتين كانتا تتم بهما المكاتبات الرسمية . كما أدى هذا إلى إزالة الفجوة بين الذين يعرفون الإنجليزية وأولئك الذين يعرفون الإيطالية وبالتالى تنتهى نظم التعليم التى تعتمد على اللغتين . وقد طلب من جميع موظفى الدولة إجراء إختبار فى كتابة اللغة الصومالية كشرط لاستمرارهم فى وظائفهم .

وإذا كانت هناك بعض الاختلافات الجسمية بين الصوماليين ، فإن ما يسترعى الانتباه ويضم معظم الصوماليين هو القامة الطويلة والبنية الرقيقة والرأس الطويلة والتقاطيع الدقيقة التى تدل على العلاقات الطويلة مع شبه جزيرة العرب فهم يشبهون إلى حد كبير سكان الجنوب العربى . أما وحدة الأصل والتاريخ والتقاليد فهى عامل مقوى أيضاً للوحدة الصومالية ، فهم يعتقدون أنهم من أصل واحد وينتمون لسلالة معينة غير الشعوب المجاورة لهم.

أصل الصوماليين وانتشارهم

وتوزيع الصوماليين الحالى ما هو إلا نتيجة لسلسلة من التحركات عبر قرون عديدة والتى ترجع بدورها إلى حرفة الرعى التى يمارسها أغلبية الصوماليين. والنظرية الأولى لأصل الصوماليين على أساس طبيعة انتشارهم فى أفريقيا الشرقية ترجع بأصولهم إلى شبه جزيرة العرب ، عابرين خليج عدن جنوبا إلى القرن الافريقى ، وكان ذلك خلال العشرة قرون الأخيرة ، من ثم فانتشار الصوماليين تفترضه هذه النظرية على هيئة تيار هجرة طويل المدى لجماعات يسود الرعى نشاطها ، وكانوا فى هجراتهم بحثا عن الماء والمرعى يضغطون جنوبا وغربا على العناصر المتزنجة التى كانت تسكنه، وهناك من الشواهد على أن الحاميين الأوائل كانوا من الجـــالا ، وتبعهم

الصوماليون . وقد دفع الصوماليون الجالا نحو الجنوب الغربى إلى ما بعد نهرى جوبا ، وشيبلى ليحتلوا الأجزاء الجنوبية الغربية من أثيوبيا وشمالى كينيا فى الوقت الحاضر . ويقال إن الانتشار الصومالى من الإقليم الشمالى بدأ فى القرن الرابع عشر وعلت موجته فى القرن السادس عشر وأسسوا مركزاً رئيسيا لهم فى هرر . وما أن وافى القرن السابع عشر حتى كانوا قد وصلوا إلى توزيع يشبه إلى حد كبير التوزيع الحالى . وما زالت حركتهم إلى القرن العشرين . على أن عملية التوسع من جانب شعب الصومال لاتعزى بأى حال إلى الرغبة الجامحة لزيادة مناطق النفوذ ، أى إلى سبب سياسى بقدر ما تعزى إلى الرغبة فى زيادة الموارد لمواجهة نمو السكان والحيوان .

وتوجد أدلة كثيرة على أنه فى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل العشرين اتجه الصوماليون بماشيتهم عبر نهر جوبا ووصلوا إلى نهر تانا عام ١٩٠٩ غير أن الإدارة البريطانية فى كينيا تحركت بعد ذلك بثلاث سنوات ، ووضعت حراسة ومراكز إدارية فى شمالى كينيا . وشهدت الثلاثون عاما التى تلت ذلك سلسلة من الإجراءات والاتفاقيات لمنع تقدم الصوماليين جنوبا ، ورغم هذه الإجراءات ظهر أن جميع السكان الذين كانوا يعيشون على الضفة الشمالية لنهر تانا قد تشربهم الصوماليون . ورغم هدوء الحركة عن ذى قبل . إلا أن التجار الصوماليين قد تسربوا فرادى وجماعات جنوبا حتى تنزانيا ، بل وجنوب شرق افريقية .

غير أن هناك نظرية أخرى ترجع بأصولهم إلى افريقية ذاتها ، ومجمل النظرية أن كلا من الصوماليين والجالا نشأوا فى جنوب أثيوبيا ، ومن هنا فإن الصوماليين تبعوا الجالا فى انتشارهم ، وانتشروا شمالا وشرقا إلى مواطنهم الحالية فى القرن الإفريقى ، ومن ثم تعتبر قبائل الدجل والرهانوين الذين ينتمون إلى مجموعة الساب ، والذين يمارسون الزراعة، هم أقرب فى حياتهم ونشاطهم إلى الصوماليين الأصليين ، بينما مجموعة الصومالى هى التى عدلت

فى طريقة حياتها لتواجه صعوبات البيئة الجديدة فى شمال وشرق القرن الافريقى . ولكن النظرية الثانية فيها كثير من النقاط الغامضة التى تستحق التفسير ، مثل ما هى الضغوط التى دفعت الصومالى إلى ترك بيئته المحببة إلى بيئة أصعب ، لأنه ليس من السهل أن يذهب بكامل إرادته إلى بيئة صعبة ، ومنها كيف اكتسب الصومالى فى بيئته الجديدة تكنيك الاقتصاد الرعوى ، خاصة وأنه لايوجد مايدل على أنه قد سبقهم شعب رعوى فى تلك الجهات فى القرن الافريقى . كل هذا مما يضعف النظرية الثانية ، بينما يقوى الأولى . فالصوماليون أنثروبولوجيا حاميون أصلا ، ولكن دخلتهم كثير من الدماء العربية .

القبائل الصومالية

والتمييز بين لهجات عشائر الديجل والرهانويين من ناحية وبين العشائر الصومالية من ناحية ما هو إلا مظهر واحد من عدة مظاهر جغرافية وتاريخية وحضارية لتقسيم الأمة الصومالية بين مجموعتين كبيرتين هما الصامالى أو الصومالى وبين الساب . وتكون مجموعة الصومالى معظم السكان ويستعمل اسمهم وهو الصومالى ليشمل أيضاً مجموعة الساب ، كما تطلق مثلا كلمة الإنجليز على كل سكان الجزر البريطانية بصرف النظر عما إذا كانوا انجليزا أو اسكتلنديين أو من ويلز .

ويتكون هذا القسم من الأمة الصومالية من أربع قبائل رئيسية أوكبرى وكل منها ترجع باسمها إلى مؤسسها الأول . وهذه العشائر الكبرى هى : الدير واسحاق والهوايا والدارود، وكلها قبائل رعوية وتنتشر انتشارا كبيراً فى البلاد وترجع أصولها إلى شبه جزيرة العرب. وتتركز عشائر الدير فى القسم الغربى من الصومال الشمالى وتتعداه إلى داخل الصومال الفرنسى وغربى مقاطعة هرر فى أثيوبيا كما يوجد فرع صغير لها فى الجنوب فى مركز مركا وبين نهر جويا وبراوه . وتعيش عشائر اسحاق (الذين يقدر عددهم مع

دير نيمو ثلاثة أرباع المليون) فى وسط الصومال الشمالى ولكنهم فى تحركاتهم الرعوية يمتدون إلى إقليم هود فى أثيوبيا ، بينما يتداخلون فى الشرق مع عشائر دولبهانت ووارسا نجلى التى تعتبر شعبا من عشائر الدارود ، أكبر القبائل الصومالية بعددها الذى يقدر بنحو مليون ونصف المليون نسمة . وتحتل الدارود القسم الشرقى من الصومال الشمالى ، فضلا عن مقاطعة مجريتنيا ومعظم إقليمى هود وأوجادن ، بل ويمتدون إلى شمال شرق كينيا ، ويقطع الاتصال بين الشعبتين الشمالية والجنوبية تداخل الهاويا والديجل والرهانوين . ويقطن الهاويا الذين يقدرهم عددهم بأكثر من نصف مليون مقاطعات مدق وهيران وجزء من مقاطعة البنادر ويمتدون عبر حوض شبيلى حيث يختلطون بعشائر الساب ، كما تظهر لهم شعبة كالدارود فى شمال كينيا .

أما مجموعة قبائل الساب فهى أقل عدداً ، إذ تقدر بنحو نصف مليون نسمة ، كما أنها أقل انتشارا — تضم الديجل والرهانوين . ويقتصر توزيعهم على الإقليم الخصيب الواقع بين النهرين ، جوبا وشبيلى حيث تختلط الشعبتان ببعضهما زراعا ورعاة ، بل ويختلطون أيضاً بعشائر الصومالى .

وهناك أيضاً بعض الأقليات صغيرة الحجم أكبرها البانتو المتصوملين الذين يتبعثرون فى عدة قرى زراعية فى حوضى شبيلى وجوبا ، ومن الجائز أنهم بقايا لجماعات زنجية كانت قبل وصول الحاميين ، وهم زراع وصيادون بالدرجة الأولى . وإذا كانوا مميزين فى صفاتهم الجسمية إلا أن المجتمع الصومالى قد تشربهم ولا يمثلون جسما غريبا فيه ، وأهم عشائرهم شيدل وشابيلى فى وادى شبيلى وچوشا وجوباوين فى وادى جوبا . وهناك جالية هندية باكستانية تبلغ نحو ١٢٠٠ نسمة ، معظمهم يعمل بالتجارة ويعيشون فى الصومال الجنوبى . أما الجالية الأوربية فهى محدودة أيضاً ، ويقدر عددها بنحو ٤٠٠٠ نسمة عام ١٩٦٦ معظمهم من الإيطاليين والبريطانيين الذين يعملون فى المشروعات التجارية والزراعية خاصة فى الصومال الجنوبى .

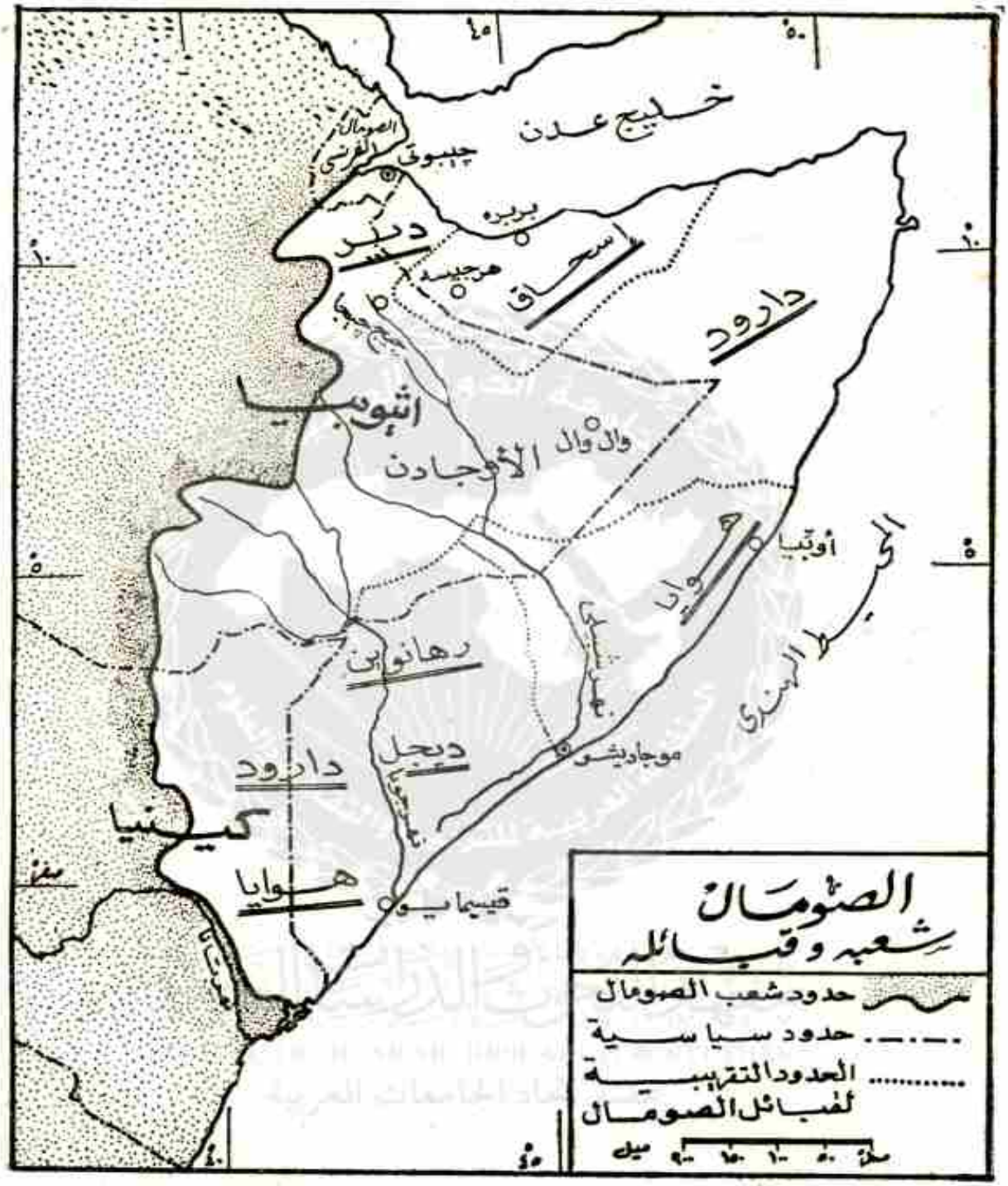
خليج عدن
الصومال الفرنسي
جيبوتي
بربره
هرجيسه
دبر
سرحاق
داردود
اثيوبيا
وال وال
الأوجادن
أوتبيا
جوبا
رهانوين
ديجل
داردود
موجاديشو
كينيا
هوايا
قيمبايو
البحر الهندي
الصومال
شعبه وقبائله
حدود شعب الصومال
حدود سياسية
الحدود التقريبية لقبائل الصومال
ميل

(شكل رقم ٢)

موقع الصومال الجغرافى وأهميته الاستراتيجية

تمتد جمهورية الصومال فى مساحة تقرب من ٢٤٦ ألف ميل مربع ، محتلة ذلك البروز الشرقى من أفريقية المعروف بالقرن الافريقى.

وتطل الصومال بذلك بجبهتين بحريتين ، على المحيط الهندى وهى جبهة طويلة للغاية من جنوب خط الاستواء عند رأس كامبونى إلى رأس جواردفوى بمسافة تبلغ ١٣٠٠ ميلا ، والثانية أقل طولا على خليج عدن من جواردفوى إلى منتصف المسافة بين زيلع وجيبوتى بمسافة تبلغ ٦٥٠ ميلا . ورغم أطوال السواحل الصومالية فهى تعانى من قلة الموانى الطبيعية ، ذلك أن سواحل الصومال تشترك مع السواحل الافريقية فى كونها سواحل انكسارية تقل تعاريجها ، وينتهى اليابس إلى البحر مباشرة كما هو الحال بين رأس جواردفوى ورأس حانون ، بينما تقوم الشعاب المرجانية التى تمتد لمسافات طويلة وبخاصة على خليج عدن بتقليل أهمية الخلجان الطبيعية . وتظهر الكثبان الرملية الساحلية فى الصومال الجنوبى ممتدة لمسافة ٧٨٥ ميلا من حدود كينيا شمالا . وقد يبلغ طول الكثيب الواحد نحو الميلين ، من ثم تتكون الجزر الرملية والبحيرات الساحلية مما يقلل من عمق المياه الساحلية ، ويجعل اقتراب السفن الكبيرة محفوفا بالمخاطر ، وتصبح للقوارب والسفن المسطحة القاع أهمية فى الوصل بين الموانى الساحلية والسفن المحيطية .

وأخيراً أدى جفاف السواحل الصومالية إلى عدم إمكان موانيها القيام بوظيفتها الحيوية بالنسبة للسفن ، ممثلة فى مدها بالغذاء والماء العذب .

وأهمية الصومال الاستراتيجية على المحيط الهندى لاتنكر . وكلنا نعرف أن بريطانيا كانت تتحسس المواقع الاستراتيجية ، فكما احتلت عدن والجنوب العربى عام ١٨٣٩ ، اتجهت إلى الصومال عام ١٨٨٦ ، ولكن القوى الكبرى الأخرى كانت لها بالمرصاد فقد وصلت فرنسا إلى الإقليم ورفع

العلم الفرنسى على أوبوك Obok عام ١٨٦٢ ، وتبع ذلك معاهدات أخرى بمقتضاها وسعت فرنسا نفوذها عام ١٨٨٤ . ولنفس الأسباب تقدمت ايطاليا لاحتلال الصومال الجنوبى ، ولما فشلت ايطاليا فى إيجاد مخرج لمشكلتهم السكانية فى الصومال ، أصبح الصومال الجنوبى فضلا عن أرتريا قاعدة لغزو أثيوبيا عام ١٩٣٦ ، ولما خرجت ايطاليا كسيرة فى الحرب الثانية وضع الصومالان (البريطانى والإيطالى) تحت الإدارة البريطانية إلى أن انتقل الأخير إلى وصاية الأمم المتحدة على أن تديره إيطاليا نيابة عنها .

البيئة الطبيعية

وتمتد الصومال على الهضبة المعروفة باسمها والتى تبلغ أقصى ارتفاعها فى الشمال مطلة على خليج عدن، وتنحدر أكثر تدرجا نحو المحيط الهندى .

فالسهل الساحلى الشمالى أو الجوبان (من كلمة جوب = يحرق) الذى يمتد من الصومال الفرنسى إلى رأس جواردفوى شديد الجفاف فلا يزيد ما يسقط هناك من مطر على ٦٠ مليمتر ويتركز فى الأشهر المعتدلة الحرارة نسبيا أى من أكتوبر (تشرين الأول) إلى يناير (كانون الثانى) . أما فى فصل الحرارة المرتفعة من يونيه (حزيران) إلى سبتمبر (أيلول) فإن الجوبان تعيش اسمها خاصة إذا أضفنا إلى ارتفاع الحرارة ارتفاع نسبة الرطوبة . والتى تجعل المناخ قاسيا بالنسبة للإنسان . وباستثناء مواضع الاستقرار الدائم كما فى بربره تتحرك القبائل جنوبا إلى المرتفعات بحثا عن مناخ أقل قسوة وأرض أكثر خضرة . ورغم ارتفاع حرارة سهول الجوبان وقلة مطرها ، فإن الانسياب السطحى من المرتفعات التى تكون ظهيرها يجعل من السهل الحصول على المياه بحفر بسيط فى تربة سهول الجوبان الرملية . وكان لسهولة الحصول على المياه الباطنية فضلا على ظهور غطاء عشبى بعد أمطار الخريف له أثره فى تجمع القبائل فيها خلال الشتاء .

وتعتبر جبال أوجو وجوليس أهم مظهر تضاريس خلف سهول الجوبان

بارتفاعها الذى يسمو إلى ٢٧٠٠ متراً فى الشرق ، ٣٠٠٠ متراً فى الغرب ، حيث تتصل بالمرتفعات الأثيوبية بالقرب من بلدة هرر ، وتنحدر نحو الجنوب إلى هضبة انكسارية بارتفاع ١٠٠٠ متر فى الوسط وهى التى تضم معظم الظهير الصومالى . ويزداد المطر على الهضبة والمرتفعات الشمالية والتى تضم مركز هرجيسة عاصمة الصومال البريطانى سابقا . فيبلغ أحيانا ٣٥٠ مليمترا خاصة فى الشمال الغربى بين هرجيسة وهرر حيث تزرع الذرة الرفيعة اعتماداً عليها . كما تتوفر المياه فى الآبار الدائمة والتى تحفر على أعماق بعيدة فى الأودية الجافة ، وتمثل هذه الآبار مراكز للسقيا تتجمع حولها القبائل الشمالية .

وإلى الجنوب من هرجيسة يظهر إقليم هود، وهو هضبة متموجة تسقط من ١١٥٠ متراً فى الشرق إلى ٧٠٠ متراً فى الغرب ، وفى الواقع أن لفظ هود فى الصومال الشمالى معناها الجنوب . وتقع أطراف هود الشرقية داخل جمهورية الصومال بينما أطرافه الجنوبية والغربية تقع ضمن أثيوبيا مكونا جزءاً من مقاطعة هرر ، وكان انقسام هذا الإقليم بين الدولتين من العوامل الرئيسية المؤثرة فى العلاقات بين الدولتين .ويقطع سطح الهود بعض المنخفضات التى تمتلىء بالماء فى موسم المطر ، وتنحدر الهضبة الصومالية تدريجيا من الغرب إلى الجنوب من الهود فى اتجاه الشرق إلى سهول المحيط الهندى ، وهنا تقطعها السهول والأودية الغنية بنباتها . وأهم هذه الأودية شبيلى وجوبا اللذان ينبعان من الهضبة الحبشية . وفى الحق يعتبر النهران أهم ظاهرة فزيوغرافية فى الصومال الجنوبى . ويدخل وبى شيلى (اللبوة) — أصغرهما (١٢٥٠ ميلا) الصومال بالقرب من بلدة بلت وين وينحدر نحو الجنوب الشرقى إلى الساحل ، ولكن شمالى مجاديشو بدلا من أن ينتهى إلى المحيط ، فإنه يقوم بعمل دورة نحو الجنوب ليسير بقية مجراه موازيا للساحل لمسافة ٣٠٠ كم حتى ينتهى فى مساحات من المستنقعات إلى الجنوب من مركا ويخرج من هذه المستنقعات فرعان وبى شبيلى ووبى جوفسا ليتحدا ويصبا فى نهر جوبا أحيانا بالقرب من مصبه.

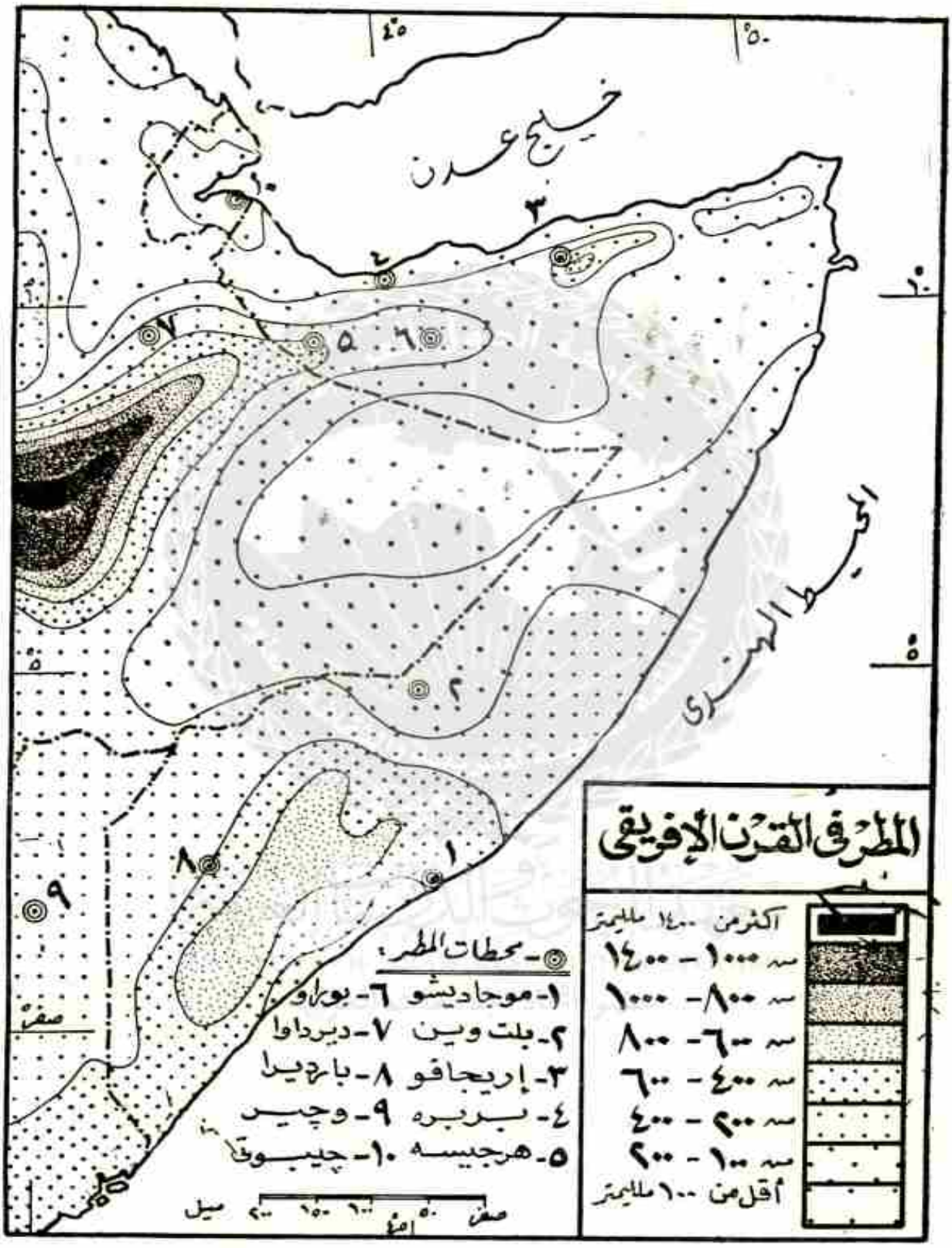
خليج عدن
المحيط الهندي
المطر في القرن الإفريقي
أكثر من ١٤٠٠ ملليمتر
١٠٠٠ - ١٤٠٠ ملليمتر
٨٠٠ - ١٠٠٠ ملليمتر
٦٠٠ - ٨٠٠ ملليمتر
٤٠٠ - ٦٠٠ ملليمتر
٢٠٠ - ٤٠٠ ملليمتر
١٠٠ - ٢٠٠ ملليمتر
أقل من ١٠٠ ملليمتر
محطات المطر:
١- موجاديشو
٢- بلت وين
٣- إريجافو
٤- بربره
٥- هرجيسه
٦- بوراو
٧- ديرداوا
٨- باردير
٩- وجير
١٠- جيبوتي
ميل

(شكل رقم ٣)

ويستغل وبى شبيلى فى رى مساحات واسعة . ويختلف تصرف النهر بحسب الأمطار فوق الهضبة الأثيوبية فيتراوح تصريفه بين ٥٦٥٠، ٥٢٥٠ قدما مكعبا من الماء فى الثانية فى الربيع ابريل (نيسان) ومايو (آيار)، وفى الخريف سبتمبر (أيلول) وأكتوبر (تشرين الأول) بينما يكاد يتحول إلى مجرى جاف فى يناير (كانون الثانى) وفبراير (شباط).

أما نهر جوبا فينحدر بصورة مباشرة من الهضبة الأثيوبية إلى البحر الذى ينتهى إليه بتيار قوى — بمجرى عرضه نحو ٢٤٠ متراً بقرب ميناء يسمايو وهو ملاحى بالنسبة للسفن المسطحة القاع من مصبه حتى المندفعات القريبة من بلدة باردرا . هذه المندفعات التى تحطمت عندها سفينة المكتشف الألمانى بون دكن Von Decken عام ١٨٦٥ ، وعادة ما تجرى فيه المياه طول العام ، وإن تغير التصريف تبعا لحالة المطر عند منابعه فيتراوح تصريفه بين ٢٤٠٠، ٣٠٠٠ قدما مكعبا فى الثانية فى الربيع والخريف. ولكنه لايجف شتاء كما هو الحال فى نهر شبيلى . وعلى العكس الظروف الصحراوية وشبه الصحراوية والأعشاب الشوكية وأشجار السنط التى تسود معظم الصومال ، نجد حول النهرين أحيانا مظهراً شبيها بغابات الأروقة وهنا تحل الفيلة وأفراس النهر محل الوعول والحيوانات البرية الصغيرة الحجم التى تكثر فى جهات الصومال الأخرى .

ويعتبر هذا القسم الجنوبى من الصومال أكثر جهات الصومال وفرة فى موارد الماء، وعلى المستوى المحلى أكثرها زراعة حيث تزرع الذرة الرفيعة والدخن والسمسم والفول والمانيوق فضلا عن الفاكهة كالموز وقصب السكر الذى يزرع فى مزارع واسعة ولايوجد إقليم آخر فى الصومال يعادل فى موارده الزراعية ما بين النهرين ، رغم أن شمال غربى البلاد يمد البلاد الآن بمحصول جيد من الذرة الرفيعة فضلا عن التمر.

ورغم هذا التقسيم بين شمالى الصومال وجنوبيه من حيث الظروف الفزيوغرافية فإن كلا من الصومالى الشمالى والصومالى الجنوبى يتعرض لدورة فصلية واحدة أساسها حركة كل من الرياح الشمالية الجافة والموسمية الجنوبية الممطرة فوقه . وإذا تركنا بعض الفروقات المحلية فيما تختص بالرطوبة ، فإن المطر يسقط بصفة عامة فى موسمين، من مارس (آذار) إلى يونيه (حزيران)، ومن سبتمبر

(أيلول)إلى ديسمبر (كانون الأول)، وبينهما فصلان جافان، ولكن ما يفرق بين الشمال والجنوب، أنه بينما أكثر جهات الصومال الشمالى ارتفاعا فى الحرارة هو فصل الصيف، فعلى العكس الصومال الجنوبى الذى يعتبر فيه هذا الفصل من ألطف فصول السنة حرارة . ويعتبر هذا الفصل من أحسن فصول السنة حرارة فى موجاديشو والموانى الجنوبية وإن كانت غالبا ذات رطوبة مرتفعة .

وهكذا كان لموقع الصومال الفلكى أثره فى أن أصبح مناخه مداريا وكان لموقعه النسبى بين توزيعات اليابس والماء أثره فى سيادة الظروف شبه الجافة، وأصبحت المحصلة المناخية النهائية هى المدارى شبه الجاف Bshw وفى مثل هذه الأقاليم المدارية لايعتبر عامل الحرارة هو أساس الفصول المناخية ، فهى مرتفعة فى جميع فصول السنة وتتراوح فى الصومال بين ٦٠ ، ١١٠ف، من ثم يصبح اختلاف الرطوبة من فصل إلى آخر هو أساس التقسيم ، وهذه تعتمد بدورها على حركة جبهة التقاء الرياح الموسمية الجنوبية الممطرة ، والرياح الشمالية الجافة .I.T.C وعلى أساس هذه الحركة يمكن أن نميز الفصول التالية فى الصومال .

جيلال : من يناير (كانون الثانى) إلى مارس (آذار) حين تهب الرياح الشمالية الجافة ، وترتفع درجة الحرارة ويحتمل هبوب الزوابع الترابية .

جو : من ابريل (نيسان) إلى يونيه (حزيران)، وتكاد تجف فيه المياه نهر شبيلى فى أوائله وينخفض تصريف نهر جوبا ، ولكن فى أواخر هذا الفصل تتحول الرياح إلى جنوبية غربية، وبالتالى يبدأ سقوط المطر . وهذا هو أغزر فصول السنة مطراً إذ يبلغ نصيب هذا الفصل نحو ٦٠٪ من مجموع التساقط على الصومال والذى يبلغ نحو ٣٠٠ مم فى مقاطعة جوبا العليا .

حاقاى : من يوليه(تموز) إلى سبتمبر (أيلول)، ويقل فيه المطر مرة أخرى ويتمتع الصومال الجنوبى بحرارة معتدلة، بينما يعتبر هذا الفصل من أشد فصول السنة حرارة فى الصومال الشمالى إذ يصل المتوسط إلى ٩٩ ف .

دير : من أكتوبر (تشرين الأول)إلى ديسمبر (كانون الأول)، وهو فصل المطر الثانى، وإن كان أقل من الأول وتبدأ فى نهايته الرياح فى التحول لتصبح شمالية شرقية جافة . وهكذا يتبع المطر تعامد الشمس ربيعا وخريفا .

متوسط الحرارة بالفهرنهيت والمطر بالمم فى بعض مدن الصومال

	خط العرض	الارتفاع بالمتر	يناير (كانون الثانى)	فبراير (شباط)	مارس (آذار)	ابريل (نيسان)	مايو (أيار)	يونيه (حزيران)	يوليه (تموز)	أغسطس (آب)	سبتمبر (أيلول)	أكتوبر (تشرين الأول)	نوفمبر (تشرين الثانى)	ديسمبر (كانون الأول)	متوسط العمر
هرجيسة	٩٣١	١٣٧٠	٦٥	٦٨	٧٣	٧٤	٧٦	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧١	٦٧	٦٤	٤٣٢
بربرة	١٠٢٦	٨	٧٧	٧٨	٨٠	٨١	٨٩	٩٨	٩٩	٩٨	٩٦	٨٤	٧٩	٧٨	٥٧
ايل	٧٥٧	٣٦	٧٩	٨١	٨٤	٨٦	٧٨	٨٦	٨٥	٨٥	٨٦	٨٥	٨٣	٨٠	١٤٠
مجاديشو	٢٠٢	١٧	٧٩	٨٠	٨٣	٨٥	٨٨	٨٠	٧٨	٧٨	٨٢	٨١	٨٢	٨٠	٣٧١
قيسمايو	٠٢٥	٣٩	٨٣	٨٢	٨٢	٨٣	٨٢	٨٠	٧٩	٧٩	٧٩	٨٠	٨٣	٨٣	٣٦٥

—— : شهور قمة الحرارة ٥

استخدام الأرض

تلعب الظروف الطبيعية دورها فى الصومال لتجعل الأراضى القابلة للزراعة تبلغ نحو ١٧,٥٪ من مساحة البلاد ، بينما مايصلح للرعى لايزيد على ٤٣,٥٪ من هذه المساحة ، على حين أن ٣٩٪ لايصلح لرعى أو زراعة ، وتشترك التربة مع الظروف المناخية فى إعطاء هذه الصورة عن الصومال . فتربات القرن الافريقى قليلة الخصوبة بوجه عام ، وفقيرة فى المواد العضوية والأزوتية والفوسفور ، سواء كانت مشتقة من الصخور البلورية أوالمتداخلة ، أو من التكوينات الرسوبية أو الحديدية أو الكثبان المتصلبة . ويتمثل الاستثناء الوحيد فى التربات الغيضية لأودية جوبا وشبيلى ، وإن كان يعانيان بدورهما من الانغمار والغرق لفترات متفاوتة . هذا وبينما تسمح ظروف الرطوبة فى الجنوب بنشاط اقتصادى زراعى ، فقد تنتشر ذبابة تسى تسى لتحد من تربية الحيوان .

وقد انعكست قسوة الظروف الطبيعية وبصورة خاصة قلة موارد المياه على أنماط الحياة الاقتصادية السائدة فى الصومال ، وبخاصة أن نصيبها من الثروة المعدنية مازال محدوداً . من ثم كانت أنماط الاقتصاد التقليدى هى التى مازالت تمارس حتى اليوم : رعى وزراعة ، ويتفوق الرعى على الزراعة بسبب الجفاف ، إذ يقدر أن ٧٣٪ من السكان هم من الرعاة البدو . مع اختلاف هذه النسبة بين شمالى الصـــومال وجنوبيها تبعا لتباين الأحوال الطبيعية ، فترتفع نسبة الرعاة فى شمالى الصومال — حيث شدة الجفاف — إلى ٨٥٪ . ويأتى جمع اللبان كأهم حرفه ثانوية مكملة للرعى ويعتبر الصومال أكبر منتج له فى العالم . وتتحول البداوة والرحلة الطويلة إلى نوع من الهجرة الفصلية ثم الزراعة كلما اتجهنا جنوبا ، إذ ترتفع نسبة الزراع المستقرين فى الصومال الجنوبى إلى ٣٥٪ بينما يمارس ٥٠٪ من السكان الزراعة بشكل أو آخر ، وإن كان معظم هؤلاء يمارس زراعة وتربية حيوان معا ، وهذا

بفضل زيادة المطر فى جنوبى الصومال من ناحية ، وبفضل نهرى شبيلى وجوبا، من ناحية أخرى ، وإذا كانت كثافة السكان تدور حول ٣ نسمة لكل ميل٢ فى الصومال بوجه عام ، فإن هذا الرقم يتضاعف بين نهرى جوبا وشبيلى .

الرعى التقليدى

ذكرنا أن الظروف الطبيعية حتمت أن يتجه معظم الصوماليين إلى الرعى ، بل وحتمت أيضاً الحركة من مكان إلى آخر وراء العشب والماء . وإن كانت هناك تحركات لظروف ثانوية منها حاجة القطعان إلى الملح أوالحشائش المالحة حتى لاتصاب بالأمراض ، وكذلك تجنب الأقاليم الموبوءة بالأمراض ، والأقاليم المرتفعة الحرارة . ولكن كل هذا لاينفى أن الماء والكلأ ، هما سبب الحركة الرئيسى ، ذلك أنه حتى القطعان ذات المطالب المحدودة من الغذاء والماء ، كالإبل والضأن والماعز ، لايمكن إعالتها سوى بالتحرك من مكان إلى آخر تبعا لفصول السنة . ويمثل الوصول إلى الماء مشكلة خطيرة يتحكم فيها كل من المطر والماء الباطنى ، وتزيد المشكلة حدة أنه ليس من الضرورى أن يتوفر الماء والكلأ فى مكان واحد .

ويتبع الرعاة فى حركتهم دورة فصلية معروفة تتفاوت مسافتها استجابة لظروف المطر . وليست هناك ملكية للعشيرة فى أرض معينة ، تعتبرها مراعيها ، ولكن حيازة الأرض تتوقف على استغلالها فقط واحتلالها لها . وإن كان من المعروف أنه فى الأقاليم ذات الوفرة النسبية فى موارد الماء تعتبر المراعى مشاعا للجميع ، تردها العشائر جميعا ، بينما حيث يندر الماء يكون من الطبيعى أن تحتكر العشيرة دون غيرها مورد الماء الذى قامت بانشائه وصيانته ، وهنا تدافع العشيرة عن موردها ومراعيها بالقوة والعنف إن لزم الأمر ، ومن ثم تكثر الاشتباكات فى فصل الجفاف.

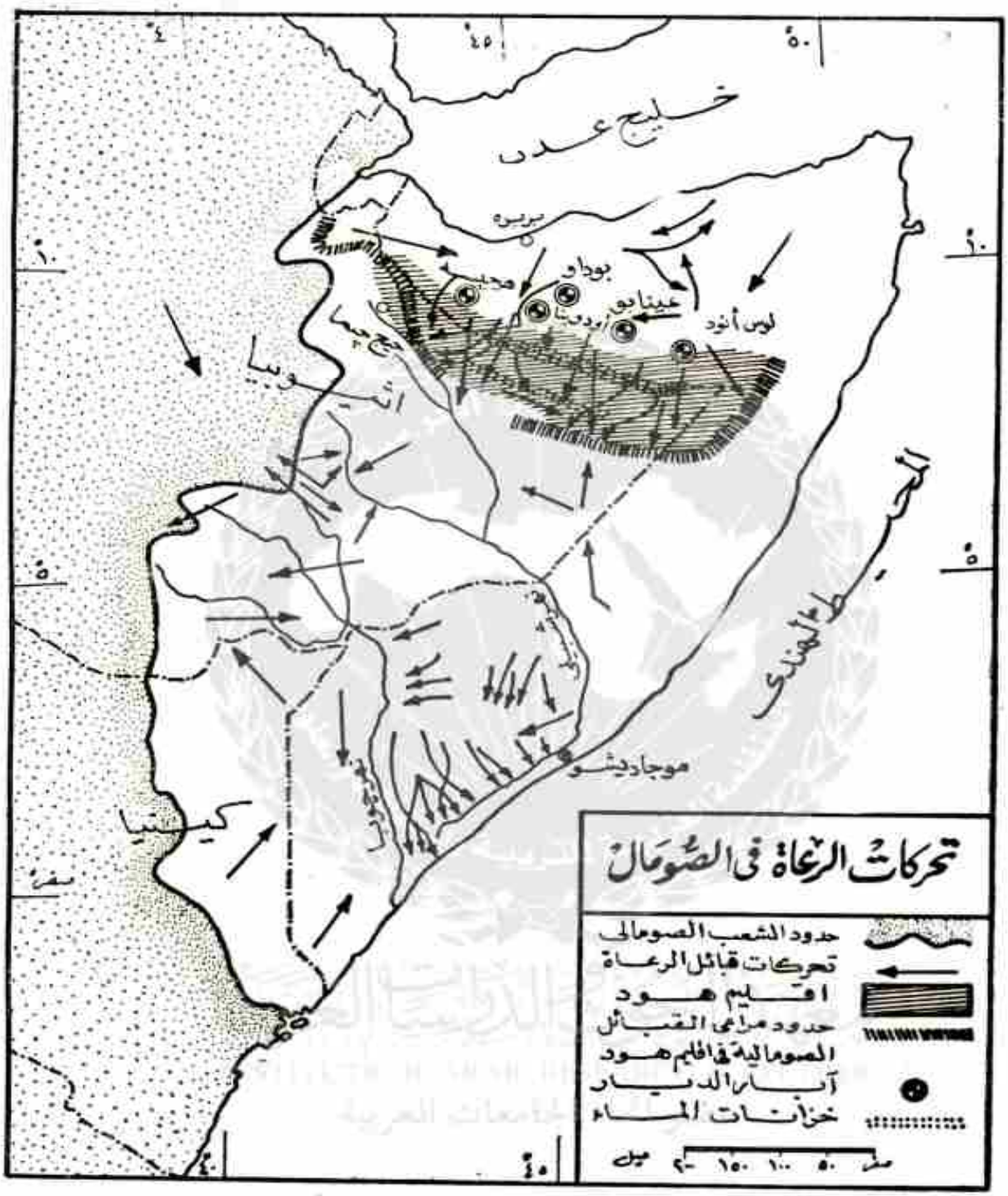
خليج عدن
بربرة
بوداو
عينابو
لوس أنود
إثيوبيا
المحيط الهندي
موجاديشو
كينيا
تحركات الرعاة في الصومال
حدود الشعب الصومالي
تحركات قبائل الرعاة
اقليم هود
حدود مراعي القبائل الصومالية في اقليم هود
آبار الدثار
خزانات الماء
ميل
كم

(شكل رقم ٤)

وفى اختيارهم لنوع الحيوان وطريقة تربيته ، يحاول الصوماليون الاستفادة جهد الطاقة من موارد البيئة المحدودة ، وتربى الإبل فى أكثر جهات الصومال جفافا نظراً لصبرها على السقيا وقدرتها على التهام الأشواك ، بينما تقتصر الماشية على الجهات الأكثر رطوبة وخاصة فى الجنوب ، وإن كانت هناك أيضاً يخشى عليها من مرض التربانوسوم . أما الضأن والماعز فهما أكثر انتشارا من النوعين السابقين ، فهى ترعى مع هذا وذاك .

وللإبل شأن عظيم فى الصومال الشمالى حيث تعتبر النوق مصدراً للألبان وكوسيلة من وسائل الحمل والنقل ، ولكن قيمتها الاجتماعية تفوق أهميتها الاقتصادية ، ذلك أن عدد الإبل يمثل ثروة ومركز الرجل ، وعلى العكس يربى الضأن والماعز للحصول على الغذاء ، تمدهم باللبن واللحم وتباع حين الحاجة إلى المال ، وفى الجنوب وفى أماكن محدودة فى الشمال الغربى تحل الماشية محل الإبل ، ويصبح الحمار هو وسيلة النقل والحمل . وكان الاستغلال التجارى للإبل محدوداً للرغبة فى جمع أكبر عدد منها ؛ فالأعداد الكبيرة هى ضمان للسنين العجاف ، حين يهلك بعضها ويذبح البعض الآخر للحصول على لحمه غذاءً لقلة اللبن ، وفى مثل هذه الظروف القاسية ، تزداد أهمية الإبل .

ولاختلاف مطالب كل من الإبل والضأن والماعز ترعى منفصلة عن بعضها خاصة فى فصل الجفاف . ففى فصل الرطوبة حين يتوفر الماء والمرعى تقل الفروقات بينها ، أما فى فصل الجفاف حين تقترب القطعان من آبار الديار ، يشتد التزاحم وانهاك المرعى ولايوجد من الحيوانات جميعا سوى الإبل التى تستطيع الابتعاد عن هذه الآبار لمسافة طويلة ، يقودها شباب القبيلة ويعسكرون بها بعيداً ، على حين تصحب الضأن والماعز النساء والأطفال .

وإذا ضربنا مثلا بالرعى فى الصومال الشمالى وجدنا حركة القبائل تتبع فصول السنة فمثلا فى الجيلال أو الجفاف الشديد تقترب القبائل من

آبار الديار والتى عادة ما تظهر بين مناطق الاستقرار الرئيسية فى هرجيسة وبوراو وعينابو ولاسى عانود . والمشكلة فى هذا الفصل فى أنه رغم توفر الماء فى هذه الآبار فإن الجفاف الشديد منع نمو الحشائش ويتبع هذا الرعى الجائر وتفكك التربة ، وبالتالى جرفها فى فصل المطر . وما أن يأتى فصل الجو حتى يخف الضغط على آبار الديار ومراعيها فى آن واحد . ولكن حتى فى هذا الفصل قد يتأخر سقوط المطر كما حدث عام ١٩٥٩ ، مما أدى إلى ارتفاع سعر الماء (بلغ ٢ شلن صومالى لصفيحة الماء) ومع ذلك فهذا الفصل عادة ما يزول فيه الكرب وتبدأ حركة القبائل نحو الجنوب بوجه عام فى اتجاه الهود . ويرسلون الكشافين أمامهم لمعرفة أين إعشوشبت الأرض ، ولا يتجه من الحيوان بعيداً إلى إقليم الهود سوى الإبل التى تفضل مراعيه ، فضلا عن قدرتها على قطع المسافات الطويلة ، وتحمل العطش لمدة قد تصل إلى ٢٠ يوما فى فصل المطر ، حيث تعوض السقيا برطوبة الحشائش . ويعيش الشباب فى فترة المعسكرات البعيدة عن الديار اعتمادا على لبان النوق . ولاستغلال جميع المراعى الممكنة ، كان على الشباب تقدير المسافات والزمن للعودة بإبلهم إلى مراعى الديار فى الوقت المناسب . وإن كانت عملية إنشاء الحفير فى هود ، قد أطالت فترة البقاء فى الجنوب عن ذى قبل .

وإذا كانت معسكرات الإبل متنقلة وليست دائمة ، فهناك معسكرات شبه دائمة ويطلق عليها (دير) وتتكون من عدة أسر لا تزيد عادة على أربع . تبنى مساكنهم أو (الآكال) من أغصان الأشجار وتغطى بالحصر والجلود ، وتقام على مسافات معقولة من بعضها . ولكن الآكال يمكن أن تزال فى ظرف ساعات ، وتوضع على ظهور الإبل فى ظرف ساعات أخرى بواسطة النساء ، للانتقال إلى مكان جديد قد يبعد مائة ميل تقطعها الإبل فيما بين يومين أو ثلاثة .

وكان لتحرك السكان شبه الدائم أثره فى صعوبة مدهم بالخدمات الاجتماعية كالتعليم أو الخدمات الطبية . وقد عملت الحكومة بعد الاستقلال على

توفير موارد المياه ، وذلك بتحسين المنخفضات الطبيعية ، وإعدادها لعملية خزن ماء الأمطار ، عن طريق تعميقها من ناحية ، وتغطيتها بطبقة من الطين حتى لايتسرب منها الماء ، ولكن لاشك أن طاقتها محدودة ومؤقتة لأنها عرضة للتبخر . وأدى هذا إلى التفكير فى طريقه أخرى وهى عمل أحواض Tanks صناعية أى الحفر بعمق وبسعة كبيرة ، وكساء قاعها وجوانبها بالأسمنت ، وتغطيتها بالصاج المعرج والأغصان لتقليل البخر . وتتفاوت سعة الحوض بين عشرة آلاف وعشرين ألف جالون . وروعى فى توزيعها أن يجمع كل حوض مياه أكبر مساحة ممكنة ، من ثم حفرت إلى كل حوض القنوات التى تأتيه بالمياه من مناطق تجميع المياه التى حوله . وعندما شيدت هذه الأحواض أول مرة كانت على جانبى الحدود الأثيوبية الصومالية ، أما بعد ذلك فقد حفرت على بعد حوالى ٥٠ ميلا من هذا الخط فى إقليم الهود داخل أثيوبيا . وظهرت مشكلات متعددة مع ظهور هذا المورد الجديد للماء ، لعل أهمها أن هذه الأحواض أصبحت مشاتل مثالية للبعوض ، وأصبح نمو بعوض الملاريا وتكاثرها ممكنا على مدار العام بينما كان هذا مستحيلا أثناء الجفاف فيما مضى .

وهناك تحركات للقبائل فى الصومال الجنوبى أيضاً ، وإن كانت أقل شأنا منها فى الشمال . وتأخذ هذه التحركات اتجاها جنوبيا غربيا من آبار المنطقة الساحلية إلى الداخل . وتحل مراعى الدوى Doi فى جاذبيتها هنا محل مراعى الهود فى الصومال الشمالى ، ولكن نظراً لوفرة موارد الماء بين نهرى شبيلى وجوبا كانت تحركات القبائل محدودة وإن كان الرعاة يتركزون بالقرب من النهرين فى فصل الجفاف . ويبدو أن تجارة الأبقار فى الصومال الجنوبى أكثر من الإبل فى الصومال الشمالى ، وأنها فى ازدياد كبير وبخاصة فى الثيران فقد ثبت من تقرير هيئة الأغذية والزراعة من واقع عينات القطعان التى درست أن الثيران لم تكن تمثل سوى ١٠٪ من المجموع ، بل وإن نسبة كبيرة منها دون سن خدمة الإناث .

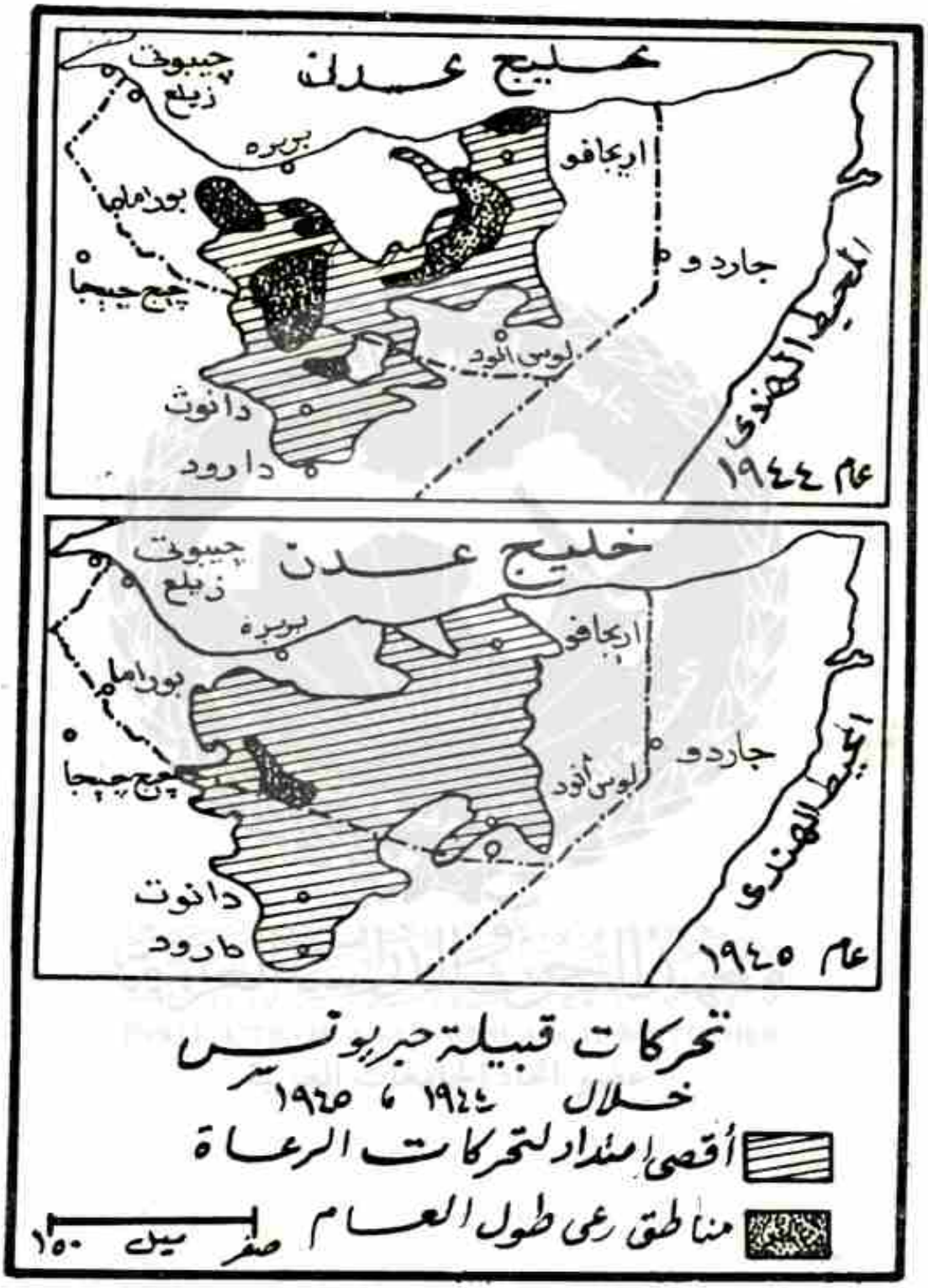
خليج عدن
جيبوتي
زيلع
بربره
اريجافو
بوراما
جاردو
لوس انود
دانوت
دارود
المحيط الهندي
عام ١٩٤٤
خليج عدن
جيبوتي
زيلع
بربره
اريجافو
بوراما
جاردو
لوس انود
دانوت
دارود
المحيط الهندي
عام ١٩٤٥
تحركات قبيلة حبر يونس
خلال ١٩٤٤ ، ١٩٤٥
أقصى امتداد لتحركات الرعاة
مناطق رعى طول العام
صفر ١٥٠ ميل

(شكل رقم ٥)

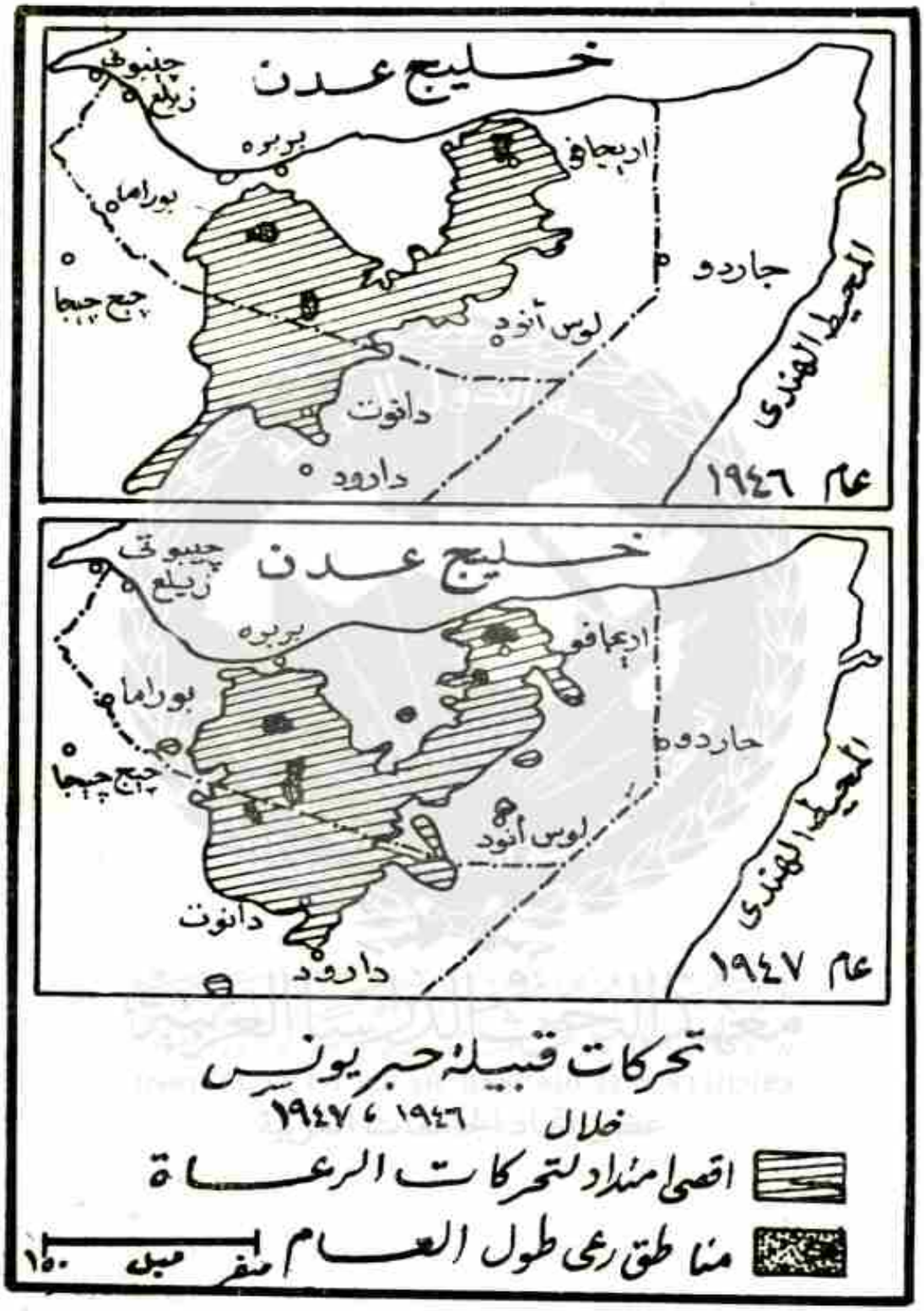
خليج عدن
جيبوتي
زيلع
بربره
اربجافو
بوراما
جاردو
جبج جبجا
لوس آنود
دانوت
داردود
المحيط الهندي
عام ١٩٤٦
خليج عدن
جيبوتي
زيلع
بربره
اربجافو
بوراما
حارده
جبج جبجا
لوس آنود
دانوت
داردود
المحيط الهندي
عام ١٩٤٧
تحركات قبيلة حبر يونس
خلال ١٩٤٦ ، ١٩٤٧
اقصى امتداد لتحركات الرعاة
مناطق رعى طول العام
١٥٠ ميل

(شكل رقم ٦)

تقديرات الثروة الحيوانية فى الصومال بالألف رأس
١٩٧٠ - ١٩٧١

إبـــل	٣٠٠٠	أبقـــار	٢٨٥٠
أغنـــام	٣٩٥٠	بغال وحمير	٤٣
ماعـــز	٥٠٠٠	خنازير	٧

الزراعة الوطنية

تزداد أهمية الزراعة فى الصومال ، وإن كانت الأراضى المزروعة لاتمثل سوى ١٠٪ من المساحة القابلة للزراعة بطريقة الزراعة الجافة . ويبدو أن الرعى بالنسبة للإنسان أكثر ضمانا من الزراعة فى إقليم يغلب على ندرة المطـــر .

وتمتد الزراعة المطرية فى الجنوب فى الأقاليم ذات الأمطار الغزيرة نسبيا بين نهرى جوبا وشبيلى (٣٥٠ — ٣٨٠ ملليمترا) وعلى طول الكثبان الرملية الساحلية ، كما تستغل مياه النهرين للرى الفيضى . ويستفاد بمياه نهر جوبا بإيصالها إلى المنخفضات الطبيعية ، بينما فى حالة نهر شبيلى الذى ينساب فى مستوى أعلى من مستوى الأراضى الزراعية فيكفيهم قطع جسوره فى المناطق المرغوب زراعتها . كما يعمل السكان على تجميع مياه حقولهم عن طريق حفر القنوات التى تؤدى إلى حقولهم ..

هذا ولايوجد تمييز واضح بين النوعين ، فالغلات المزروعة سواء سيحا أوديما واحدة وإن اختلفت أهميتها النسبية ، كما أن محصول المروية أكثر زيادة وأقل ذبذبة . ففى الأراضى المعتمدة على المطر تشغل الذرة الرفيعة المقاومة للجفاف مساحات كبيرة بينما تحل الذرة العريضة محلها على

الضفاف النهرية . هذا فضلا عن بعض المحاصيل الثانوية كالقطن والفول والسمسم والقرع العسلى والكسافا . ويشهد الإقليم كل عام فيضانين وموسمين للمطر ، بمعنى أن الأرض تغطى على الأقل محصولين كل عام . وتختلف المساحة المزروعة وكمية الحصاد من عام إلى آخر وبخاصة فى أقاليم الزراعة المطرية . وبينما تواجه أراضى الزراعة المطرية كثيراً من نقص فى المطر ، فإن الزراعة الفيضية كثيراً ما تعانى من الفيضانات المدمرة وغرق الأراضى ، كما حدث فى فيضان ١٩٦١ الذى أدى إلى تلف المحاصيل وهلاك الإنسان والحيوان . وإذا كانت المساحة المزروعة تقدر ما بين ٤٥٠ ألف ، ٦٥٠ ألف هكتار ، فهناك مركزان بهما ما يتراوح بين ثلثى وثلاثة أرباع هذه المساحة ، وهما مركزا بيداو وبور اللذان ترتفع فيهما الكثافة إلى ٢٠ نسمة للكم٢ وينتمى قسم كبير من سكانهما إلى جماعات الساب أو الجماعات المتزنجة السابقة لها ثم تشربهم الساب . وتقتصر الزراعة فى الصومال الشمالى على المرتفعات الشمالية الغربية التى تتوفر فيها موارد الماء ، هذا فضلا عن الأجزاء المجاورة من أثيوبيا إذ تبلغ الأمطار نحو ٤٠٠ مليمترا بالقرب من بوراما حيث عشائر الدارود الذين يكونون قطاعا من الصوماليين يمتد إلى هرر داخل نطاق الزراع من الجالا . وقد نقل الدارود حياة الزراعة متأخرين نسبيا فى أواخر القرن التاسع عشر والعشرين حتى أصبح هناك بعد نصف قرن مايقرب من ١٤٠ ألف فدانا . ورغم تحول المراعى إلى أراضى زراعية ، فمازالت التقاليد الرعوية سائدة . وتحدد الأرض بواسطة الظواهر الطبيعية كالتلال وغيرها .

وتقسم الحيازة فى الصومال الشمالى إلى قسمين : قسم للرعى وآخر للزراعة وهذا الأخير يتراوح بين الفدان ونصف الفدان لكل أسرة . ويزرع عادة باستخدام المحراث الذى تجره الثيران أى على نفس النمط الأثيوبى . ويتشابه النظام الزراعى هنا فى بعض الوجوه مع نظيره فى الجنوب كحفظ الماء والاعتماد على الذرة الرفيعة المقاومة للجفاف . وإن كان لايمكن الحصول إلا على محصول واحد نظراً لقلة أمطار الخريف . ذلك أن مياه الأمطار

فى فصل الجوابريل (نيسان) —يونيه(حزيران)تجمع أو تركز فى قنوات تتجه بها الأراضى المعدة للزراعة، ويجد النبات العناية الكافية أثناء فصل النمو مثل خف الحشائش والحرث بين الصفوف لتركيز الرطوبة حول جذور النبات . وينضج المحصول فى سبتمبر (أيلول)وأكتوبر (تشرين الأول)ويجمع قبل سقوط أمطار فصل داير . ويعبأ فى أكياس ويخزن فى حفر . ويباع معظم المحصول للحصول على النقد . ويقوم الزراع هنا بتربية الأبقار كما هو الحال فى الصومال الجنوبى وذلك لوفرة الماء . والأبقار هنا من نوع زيبو Zebu كما فى بقية أجزاء الصومال ، ولديهم أيضاً نوع مهجن من الزيبو مع الدنكولى القصير القرون المعروف لدى الأثيوبيين . ولايمنع التشابه من وجود فوارق بين زراع الشمال والجنوب ، فقد مارس أهل الجنوب الزراعة منذ مئات السنين ، على حين أن زراع الشمال لم يمارسوها إلا منذ أقل من قرن . وتعلم الصوماليون الجنوبيون الزراعة من البانتو ، على حين تعلمها الصوماليون الشماليون من اتصالهم بجيرانهم من الجالا ، وبالتالى استخدم المحراث فى الشمال واستخدمت المعزقة Hoe فى الجنوب . ورغم أن كل مجموعة ترعى الأبقار فإن تربية الأبقار فى الشمال مرتبطة بالأرض الزراعية بصورة أكبر ، على حين يرسلها الجنوبيون فى رحلات موسمية لمسافات بعيدة عن الأرض لرعى الحشائش الثابتة على أمطار الربيع . وأدى قدم ممارسة الزراعة فى الجنوب إلى تخفيف البداوة ، وأصبحت القرية هى الوحدة الاجتماعية الأساسية ، والمسكن الدائم هو المأوى ، فضلا عن الاتجاه نحو الملكية الفردية ، هذا بينما التحول من التقاليد والنظم الرعوية إلى النظم الزراعية أكثر بطءً عنه فى الجنوب ، فتقوم العشيرة بزراعة الأرض التى سبق لحيواناتها أن رعتها ، كما ينضم البدو الرعاة إلى الزراع فى قراهم خلال الخريف والشتاء ، ويتحرك جزء من الزراع بحيواناتهم بعيداً خلال فصل المطر .

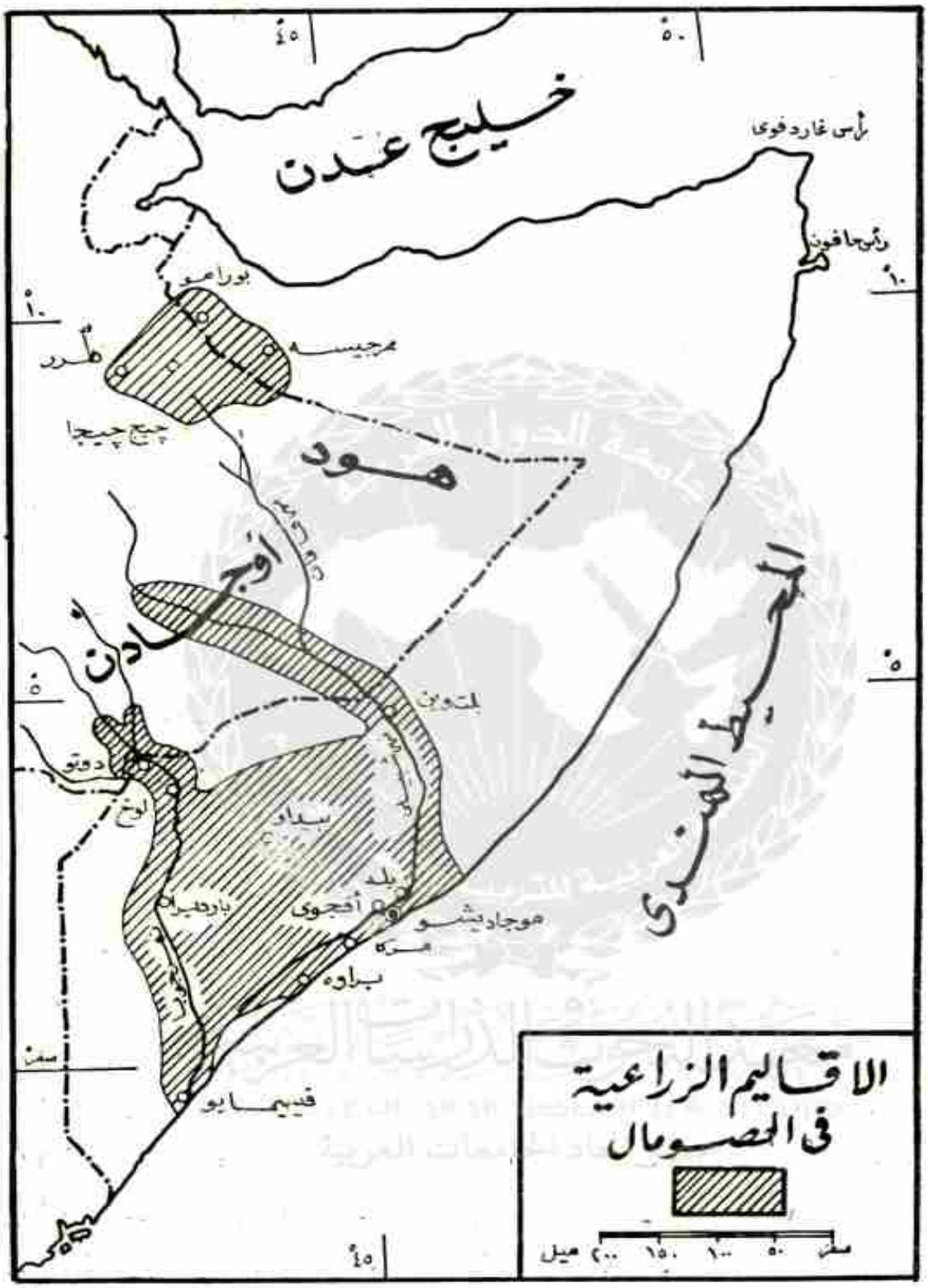
خليج عدن
المحيط الهندي
رأس غارد فوى
رأس جاردافون
بورامو
مرجيسه
هدر
چيچ چيجا
هود
أوجادين
بلتوين
دوتو
لوخ
بيداو
بلد
أفجوى
بارديرا
موجاديشو
مركه
براوه
فيميابو
الاقاليم الزراعية
فى الصومال
ميل

(شكل رقم ٧)

الزراعة التجارية والمزارع الواسعة

للزراعة التجارية أهميتها الكبيرة فى الاقتصاد الصومالى رغم أن مساحتها تتراوح بين ١٠ آلاف، ١٤ ألف هكتاراً فقط. فعلى سبيل المثال يمثل الموز ثلاثة أرباع صادرات الصومال الجنوبى من حيث القيمة، كما أن البلاد أصبح لديها اكتفاء ذاتى من السكر . ويمكن زيادة مساحة الزراعات التجارية إلى ٢٠٠ ألف هكتاراً، ورغم أنه يمكن الاعتماد على نهر جوبا أكثر من شبيلى فى التوسع الزراعى ، فإن نمو الإنتاج الزراعى فى حوضه جاء متأخراً لأن نهر جوبا كان يمثل الحد ما بين كينيا والصومال حتى عام ١٩٢٥ . هذا وقد بدأ التوسع فى الإنتاج الزراعى بالعناية بالرى وتوفير موارد الماء فضلا عن تشجيع الحكومة للزراعة المختلطة . ويذهب البعض إلى أن المستقبل فى الإنتاج الزراعى بالنسبة للصومال هو فى التركيز على القطاع الحيوانى . وتعتبر اللحوم والجلود خاصة جلد الماعز أهم صادرات الصومال الشمالى وأهم إنتاج خارج المزارع فى الصومال الجنوبى . فإذا توفرت موارد الماء بحفر آبار جديدة ، فما لاشك فيه أن هذا القطاع يصبح ذا شأن فى صادرات الصومال .

الموز وقصب السكر :

والصومال إحدى الدول المحدودة التى تسهم بصادرات افريقية من الموز والذى يبلغ نحو نصف مليون طن . وللموز أهمية خاصة للصومال لأنه أساس اقتصادها ، فهو يمثل أكثر من ثلثى قيمة صادراتها . ويزرع معظم موز التصدير فى نحو ٢٢٠ مزرعة كلها يملكها ويديرها ايطاليون فى ثلاث مجموعات من الامتيازات اثنان منها فى حوض نهر شبيلى والثالث فى حوض نهر جوبا ، ويأتى ٧٥٪ من صادرات الموز الصومالى من امتيازات شبيلى (٦٥٪ من جينالى، ١٠٪ من أفجوى) بينما تسهم امتيازات جوبا بالنسبة الباقية ، وإن كان إنتاج المنطقة الأخيرة أقل ذبذبة وأعلى إنتاجا . ويزرع فى الصومال نوع من الموز صغير الحجم يعرف باسم Cavendish الذى يقاوم التلف إذا ما هبت عليه رياح شديدة ، وكذلك يتميز بمقاومته للأمراض ولكن مشكلته

أنه يستلزم تكاليف مرتفعة لإعداده للتصدير ليتحمل النقل لمسافات كبيرة ، على العموم بدون نظام التميز لايمكن للموز الصومالى أن يقف على قدم المنافسة مع موز أمريكا اللاتينية أوموز كناريا الذى يتميز بكبر الحجم . وإذا كانت تكاليف شحنه من الصومال تقترب من تكاليف شحنه من غرب افريقية (فى ظل الحركة فى قناة السويس) إلا أنها ثلاثة أمثال تكاليف شحنه من جزر كناريا ، هذا فضلا عن أن تكاليف إنتاجه فى غرب افريقية وجزر كناريا أقل منها فى الصومال لأنها هامشية فى الأخير ، ويتبع ذبذبة المياه فى نهر شبيلى ذبذبة فى المحصول . وهذا مالايحدث فى غرب افريقية . من ثم تعتمد تجارة الموز فى الصومال اعتمادا يكاد يكون تاما على السوق التفضيلية الايطالية التى تضع تعريفه جمركية قدرها ١٪ على الموز الصومالى وترفعها إلى ٤٠٪ على الموز غير الصومالى . وهذا التفضيل هو الذى أتاح لهذا النوع من التجارة الاستمرار ، كما أن فروقات الأسعار تمثل مصدر دخل للحكومة الإيطالية لأن تجارته احتكار حكومى هناك . ومنذ عام ١٩٦٥ حددت إيطاليا حصتها المستوردة من الموز بنحو ١٨٠ ألف طن سنويا منها ٩٠ ألفا من الصومال . هذا وينتظر انخفاض تكاليف التصدير بعد التحسينات التى أدخلت على معدات الشحن فى ميناء قيسمايو ، مما يوفر ماكانت تدفعه الصومال من إعانات للسفن المارة لكى تقف فى ميناءها لشحن الموز ، وإن كان غلق قناة السويس أضر مرة أخرى بصادرات الصومال من الموز لزيادة المسافة بين الصومال وايطاليا بنحو ٤ مرات .

وتألفت الجمعية الإيطالية الصومالية الزراعية (SAIS)(*)عام ١٩١٩، وقامت بمشروع لزراعة قصب السكر واستخراج سكره . وكان هناك دائما مايقرب من ألفى هكتار مزروعة قصبا كحد أدنى فى أى عام من الأعوام . ويعانى قصب السكر من ذبذبات العمالة ، بل كان الحصول على

(*) اختصار : Societa Agricola Italo Somalia وتشترك الحكومة الآن بنصف أسهم هذه الشركة .

الأيدى العاملة سهلا فى فصل الجفاف حين لاتشتد الحاجة إليهم . من ثم لم تستطع مزارع Villabruzi على بعد ١٠٠ ميل من موجاديشيو إنتـــاج أكثر مما يكفى الاستهلاك المحلى(٥٠ ألف طن من السكر) .

ويخدم مزارع القصب الواسعة المقسمة على سبع مزارع نحو ٦٠ ميلا من الخطوط الحديدية الضيقة ، وتستخدم ٩٠ ايطاليا ، فضلا عما يتراوح بين ٣٥٠٠ ، ٤٥٠٠ صوماليا .

المشروعات العاجلة Crash Prog.

وفى سبيل التنميـــة الزراعية أيضاً تألفت الهيئة الزراعية التعاونية Agricultural Development Corporations ووضعت خطة تنمية ثلاثية للزراعة والثروة الحيوانية والرى بهدف التوسع فى إنتاج الحبوب للتقليل من الاعتماد على الخارج ، ذلك أن إنتاج الحبوب فى الوقت الحاضر والذى يبلغ نحو ١٥٠ ألف طن يكفى نصف الاستهلاك المحلى . وأنشأت حكومة الثورة عام ١٩٧٠ مزارع الدولة فى أفجوى ، جينالى ، جوهار ، واين ، جيبيب ، توجواچله مساحتها جميعا ١٠٠٠ هكتار . ويعمل فى هذا المشروع ٢٥٠٠ عاملا ، ثم زادت مساحة المشروع إلى ٥٠٠٠ هكتاراً عمل بها ٤٥٠٠ عاملا ، وتم حفر ١٥٦ كيلومتراً من القنوات بين عامى ١٩٧٠ ، ١٩٧٢ وأنشأت فيها مراكز لمحو الأمية ، وورش لإصلاح الآلات الزراعية ، كما أعدت مساحة تقرب من ٧٥٠٠ هكتاراً للزراعة فى أوائل فصل المطر عام ١٩٧٢ ، تنتج الذرة والدخان والقمح والأرز . وفيما يلى بيان البرامج الزراعية العاجلة عام ١٩٧٤ .

السنة	عدد المزارع	المساحة المزروعة بالهكتار	عدد العمال الزراعيين	أطوال القنوات بالكم
١٩٧٤	١٤	١٠٨٣٠	٩٣٠٠	٧٠

هذا وتتضمن المشروعات العاجلة ، العمل فى أكثر من نشاط ، وعادة ما يعمل المتطوعون فى الأعمال الزراعية (تطهير الأرض — البذر — الحصاد) وبناء المساكن والمدارس اللازمة للجماعة الزراعية ؛ فضلاعن حضور دورات توجيهية ، وفصول محو الأمية . هذا ويبلغ متوسط مساحة المزرعة بين ٣٥٠ ، ٢٠٠٠ هكتار ، وقد وجد أن مثل هذا الحجم يعتبر مثاليا للتشغيل بكفاءة اقتصادية سواء من ناحية التخطيط أواستعمال الآلات أو الإشراف الزراعى. هكذا تصيب هذه المشروعات أكثر من هدف : الاكتفاء الذاتى من الحبوب ، واستغلال الأرض القابلة للزراعة ، وخلق فرص عمل للصوماليين لاستغلال طاقتهم المعطلة .

المشروعات الزراعيـــة العاجلة

المشروع	مـــركز	المقـــاطعة	مجموع المساحة بالهكتار	
			١٩٧٣	١٩٧٤
جوهـــار	جوهـــار	شـــبيلى	٤٢٦	٦٣٠
موردیل	أفجـــوى	شـــبيلى	٣٦٠	٥٠٠
جنـــال	مرســـا	شـــبيلى	٣٥٠	٣٥٠
شيلامبود	مرســـا	شـــبيلى	١٥٠٠	١٥٠٠
هاواى	براوه	شبيلى	٧٠٠	١٠٠٠
جليب	جـــليب	جوبا الأدنى	٣٥٠	٣٥٠
بن سلامه	جـــليب	جوبا الأدنى	٧٠٠	١٠٠٠
ملكارى	لـــف	جوبا الأعلى	٣٥٠	٥٠٠
ويـــن	ويـــن	هيران	١٠٠٠	١٠٠٠
توجواچاليه	جبيـــله	الشمال الغربى	٣٧٣٩	٤٠٠٠
المجمـــوع			٩,٤٧٥	١٠,٨٣٠

هيئة الغذاء العالمية والصومال

أعلنت هيئة الغذاء العالمية .World food prog عن برنامج جديد ١٩٧٤ - ١٩٧٦ بمبلغ ١,٨ مليون دولار لمساعدة الصومال فى مشروعات التنمية التى تقوم بها . وبمقتضاه يوزع الغذاء مجانا . وفى عام ١٩٧٣ حصلت الصومال من هذا البرنامج على ٤٣٥١ طنا من دقيق القمح و الزيوت واللبن المجفف والشاى ليستهلكه آلاف العاملين فى مشروعات التنمية المختلفة . وإن كانت هيئة الغذاء العالمية سوف تتحول فى البرنامج القادم من دقيق القمح إلى الذرة الرفيعة والتمر اللذان يفضلهما الصوماليون . أما عن مدى نجاح هذا المشروع لمساعدة الصومال فى تنمية نفسها فيتمثل فى بناء ٣٧٧ فصلا دراسيا ، ١٩٠ مستوصفاً ، ٤٠٠ حوضا للمياه وحفر ١٩٠ بئراً ،وكذلك العمل فى مزارع الدولة العاجلة التى ذكرناها . هذا ولم يعط الغذاء كإحسان للفقراء ، وإنما للمتطوعين الذين تقدموا للعمل فى هذه المشروعات باستثناء بسيط وهو إغاثة ٣٠ ألفا من الصوماليين كاد جفاف عام ١٩٦٩ أن يقضى عليهم . هذا فضلا عن تغذية طلبة المدارس الداخلية الذين بلغ عددهم ٥٠٠٠ طالبا .

المحاصيل الزراعية الرئيسية فى الصومال بالألف طن متري

	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
الذرة العريضة	٤٢	٤٠	٣٥	٣٥
الذرة الرفيعة والدخن	٦٧	٦٣	٥٠	٥٠
قصب السكر	٢٧٧	٣٩٣	٤٥٠	٤٥٠
البطاطا واليام	٢	٣	٣	—
المـــوز	١٤٠	١٥٠	١٥٠	—
الفول السودانى بقشره	٢	٢	٢	٢

نشاطات غير زراعية

وإذا تتبعنا أوجه النشاط الاقتصادى الأخرى فى الصومال خارج الزراعة والرعى وجدنا الصومال المصدر الأول فى العالم للبان فضلا عن المر الذى يجمع من أحراج الصومال الشمالى . كذلك كان الصومال مصدراً للفحم ليتأتى حتى عام ١٩٦١ حين منع تصديره حفاظا على ثروة الصومال النباتية ، هذا فضلا عن جمع كميات قليلة من الصمغ ونواة ثمار الدوليب (العاج النباتى) .

ولايعمل بالصيد البحرى سوى ١٪ من الصوماليين يجمعون الاسفنج واللؤلؤ والقشريات البحرية . ورغم عدم أهمية هذه الحرفة بالنسبة للإنتاج القومى بعامة ، فلها أهميتها القصوى لدى بعض سكان الأقاليم الساحلية . ويتركز المشروع الكبير لصيد التونة على خليج عدن ، ويقوم به الإيطاليون .

والصومال فقير فى ثروته المعدنية وتأمل الحكومة فى اكتشافات بترولية تقوى وتدعم ميزانية الدولة . وقد عملت بعض الشركات الأمريكية ، فضلا عن شركة أجيب الإيطالية لعدة سنوات لكنها لم توفق فى هذا السبيل . وإن كانت هناك رواسب من الجبس والفوسفات بالقرب من بربره قد يمكن استغلالها على نطاق تجارى . هذا كما ظهرت خامات لليورانيوم إلى الغرب من مجاديشو ، ومنح حق امتياز البحث عنها لشركة اينى ENI الإيطالية .

ويعتبر مصنع الشركة الصومالية الإيطالية للسكر أكبر مشروع صناعى فى الصومال فهو مسئول عن نصف قيمة الإنتاج الصناعى ،ويعمل به ثلث القوى العاملة فى الصناعة . وأقامت الشركة المذكورة أيضاً معملا لتقطير الكحول ، وحلج القطن ، وعصر الزيوت والصابون ، وكان هناك مصنع للنسيج فى مجاديشو أغلق أبوابه عام ١٩٥٢ ، ولكن أعيد فتح مصنع للنسيج بمعاونة ألمانيا الغربية .

كذلك تقوم مصانع لتعليب التونة فى كندالا وأبو ، وتعليب اللحوم فى موجاديشو ومركا، وتقوم الصناعات الجلدية والأحذية فى موجاديشو وبراوه، بينما تنفرد مركا بصناعة الحبال من أوراق الموز .

وفى سبيل تنشيط الصناعة صـــدر قانون لحماية الاستثمارات الأجنبية من التأميم وإعفاء الشركات الصناعية من ضرائب الدخل لمدة خمس سنوات ، وكذلك من ضرائب الواردات على آلاتها وموادها المستوردة من الخارج . كل ذلك لتقليل الواردات ، ذلك أن الواردات الصناعية تمثل نحو نصف مجموع قيمة الواردات . هذا ولم تحصل الصناعة فى الخطة الثلاثية التى انتهت عام ١٩٧٣ إلا على مليار شلن صومالى أو نحو ٨,٨٪ من رصيد التنمية لتلك الفترة .

الإنتاج الصناعى فى الصومال عام ١٩٧٠

السكر	٥٠٠٠٠	طن متري
لحوم محفوظة	١٩٧٣	طن متري
لبن مجفف	٢٢٧	طن متري
كحول	٤١,٠٠٠	هكتولتر
مشروبات غازية	٣٠٠٠	هكتولتر
أحذية	٢٧٠٠٠	زوج
صابون	١٩٧	طن متري
طـــوب	١٤,٠٠٠	متر مكعب

النقـــل

مد الإيطاليون طرقا طولها ٤٥٠ ميلا فى الصومال قبل الحرب الثانية ، جزء منها لتسهيل العمليات الحربية ضد أثيوبيا ، ولكن جزءا كبيراً منها أصابه تدهور كبير . ومد فى الصومال الشمالى طريق رئيسى بين بربره (٥٠,٠٠٠) وهرجيسه (٦٠,٠٠٠) وبلغ طوله نحو ١٥٨ كم ، وذلك لربط الميناء التجارى الرئيسى فى الصومال الشمالى بعاصمة الإقليم . وهو بداية طريق أكبر إلى بوداو بطول ١٠٤٥ كم ليربط بين شمالى وجنوبى البلاد ، فضلا عن كونه شريانا حيويا بين بربره وظهيرها . ويأتى هذا الطريق

فى أولويته بعد طريق أفجوى – بيداو الذى رصف لتنشيط الحركة التجارية فيما بين النهرين والعاصمة موجاديشو . وقد رسا العطاء التنفيذى فيه على شركات(كات)اللبنانية التى بدأت العمل فى مايو(آيار)١٩٧٢ وينتظر استكماله فى أواخر عام ١٩٧٤،ويتكلف نحو ٥٥مليون شلن صومالى . هذا كما بدأ العمل فى طريق جوهار – بولو بطول ١٧٠كم . وعلى العموم كان لسطح البلاد المستوى ولطول فصل الجفاف أثره فى إمكان الحركة بسهولة فى مساحات واسعة من الصومال .

ولايوجد ميناء فى الصومال ذو مياه عميقة، ومن ثم كان لابد من إقامة المرافىء الصناعية . ويعتبر ميناء موجاديشو(١٧٥,٠٠٠) أول ميناء فى الصومال وجد عناية كافية فى هذا السبيل ، ذلك أنه ميناء الواردات الأول؛ فقد صرف على مرفأ جديد ٥,٦ مليون دولار ، وتولت الولايات المتحدة الأمريكية هذا المشروع الذى انتهى عام ١٩٦٥ بحيث أصبحت طاقة المرفأ عشرين مرة قدر طاقته فى الخمسينيات . ولكن ظهر أن زيادة الحركة تستدعى نمواً آخر لمواجهة التطورات الحديثة . وقدرت تكاليف المشروع الجديد بنحو ٢٢ مليون دولار ، حصلت عليها الصومال عن طريق توصية من هيئة التنمية الدولية IDA فضلا عن منحة من بنك التنمية الأوربى FED وبدأ تنفيذ المشروع فى مارس (آذار) ١٩٧٣ على أن ينتهى فى ابريل (نيسان) ١٩٧٦ .

أما ميناء قيسمايو(٦٠,٠٠٠) فهو ميناء التصدير الأول لأنه بالإضافة إلى ميناء مركا مسئول عن تصدير الموز سلعة الصادرات الأولى (قبل ١٩٦٧) وقد شيدت فيه مرافىء جديدة لتنشيط إنتاج حوض جوبا الأدنى . واستدعى تنشيط الحركة بين جنوبى الصومال وبقية البلاد تشييد ميناء جوى ، كما يعمل هذا الميناء على تنشيط السياحة فى الجنوب لأن أكبر حديقة حيوان طبيعية فى الصومال تقع على كثب من قيسمايو ، فضلا عن السياحة فى جزر باجونى القريبة .

وبدأ إقامة الميناء الجوى فى نوفمبر (تشرين الثانى)١٩٧٢ على أن ينتهى العمل فيه فى سبتمبر (أيلول)١٩٧٤ . كذلك شيد ميناء جوى آخر فى بيداو عاصمة مقاطعة جوبا العليا لأنها من أكثر المقاطعات غنى بالإنتاج الزراعى، وانتهى العمل فيه عام ١٩٧٣ .

ويحمى ميناء بربره لسان رملى ، واشتهر هذا الميناء منذ القدم بأنه ميناء للسفن الشراعية والسفن الصغيرة التى تعمل بين الموانى القريبة . وقد حصلت الصومال على قرض من الاتحاد السوفيتى لبناء مرفأ عميق ليجعل فى إمكان الميناء استقبال السفن المحيطية من أجـــل تشجيع صادرات الماشية من الصومال الشمالى فضلا عن إمكان استغلال رواسب الجبس التى تقع فى ظهر الميناء .

الدولة والأمة فى الصومال ونزاع الحدود

تتميز معظم الأقطار الافريقية بأنها تمثل دولا أكثر منها شعوبا ، بمعنى أنه فى داخل القطر الواحد تتعدد القبائل والثقافات ، ولكن على العكس من ذلك تأتى الصومال كإحدى الأقطار الفريدة بأفريقية التى يشعر سكانها بالانتماء إلى أمة واحدة وهى الأمة الصومالية . وتعتمد القومية الصومالية على التجانس المتمثل فى الحضارة الرعوية السائدة فى جميع أرجاء البلاد وعلى وحدة الأصل ووحدة الدين ووحدة اللغة . وهذا ما يميزهم عن الجماعات المجـــاورة لهم سواء فى كينيا أو أثيوبيا . وعلى أساس هذه الوحدة الحضارية انضمت محمية الصومال البريطانى ، وصوماليا التى كانت تحت وصاية الأمم المتحدة عام ١٩٦٠ لتكونا جمهورية الصومال . وكان لتكوين الدولة بهذه الصورة أن أصبح جزء من الشعب الصومالى خارج الحدود وتحت حكم أجنبى فى شرق أثيوبيا وفى شمالى كينيا وفى الصومال الفرنسى . ومن هنا كان سعى حكومة الصومال المستقل منذ البداية لأن تضم دولة الصومال كل الشعب الصومالى ، وكان النزاع الصومالى مع كينيا وأثيوبيا وفرنسا ٥

وحاولت دولة الصومال تحقيق هدفها بدرجات متفاوتة من القتال منذ الاستقلال مع إصرار من الدول المجاورة بعدم التنازل عن الأرض والسكان وبإصرار مقابل من الصومال على ضمها .

وإذا رجعنا إلى الحدود التى فرضت على الإقليم بواسطة بريطانيا وفرنسا وايطاليا نجدها ترجع إلى فترة (١٨٨٥ — ١٩٠٠) حين حصلت بريطانيا على محمية كينيا والصومال البريطانى ، بينما حصلت فرنسا وايطاليا على مستعمرتيهما . وقد فصلت هذه الحدود الهندسية بين أراضى القبيلة الواحدة ، حيث فصلت المراعى الشتوية عن المراعى الصيفية .

الحدود الصومالية الأثيوبية

وقد نصت المادة الرابعة من الإتفاقية الإيطالية الإثيوبية لعام ١٩٠٨ على أن خط الحدود يجب أن يمر إلى الشمال الغربى من نهر شبيلى بحيث تقع كل أراضى القبائل الساحلية ضمن النفوذ الإيطالى ، بينما يقع إقليم أوجادن ضمن إثيوبيا . وبدأت لجنة ايطالية أثيوبية تحديد الخط عام ١٩١٠ . ولكنها لم تصادف نجاحا كبيراً لعدم اتفاق الطرفين على حدود القبائل . ورغم أن تحديد الخط بين الصومال البريطانى وأثيوبيا صادف نجاحا عام ١٩٣٥ ، فإن الصوماليين فى المحمية البريطانية كان لهم حق عبور الحدود إلى مراعيهم التقليدية فى إقليم هود طبقا للمعاهدة البريطانية الأثيوبية لعام ١٨٩٧ ، وقام نزاع على الحدود بين أثيوبيا وايطاليا عام ١٩٣٥ وفى نفس العام احتلت ايطاليا أثيوبيا ، وبذلك ربطت بين شعب الصومال فى أوجادن والصومال الإيطالى ، كما احتلت ايطاليا الصومال البريطانى عام ١٩٤٠ . غير أن السيادة الإيطالية حلت محلها السيادة البريطانية فى العام التالى . ورغم استقلال أثيوبيا فقد استمرت بريطانيا فى إدارة إقليم هود ، وهذا معناه وحدة الشعب الصومالى تحت الحكم البريطانى حتى عام ١٩٥٠ ، عندما وضع الصومال الإيطالى تحت وصاية الأمم المتحدة وتديره ايطاليا نيابة عنها . وحاولت ايطاليا الوصول إلى

اتفاق بشأن موضوع الحدود على أثيوبيا خلال العشر سنوات التالية ، ولكن دون جدوى . وبدأت وحدة الشعب الصومالى تتفكك عام ١٩٥٤ عندما رجع إقليم هود وبعض المناطق الأخرى إلى أثيوبيا ، وإن كانت قد عقدت معاهدة بين بريطانيا وأثيوبيا لحفظ حق الصوماليين لمراعيهم فى أثيوبيا ، وكانت الخطوة التالية هى اتحاد الصوماليين البريطانى والإيطالى ، ولكنه فى نفس الوقت زاد من حدة النزاع مع أثيوبيا . وادعت أثيوبيا أنه ليس من حق حكومة الصومال وراثة حقوق أعطيت للحكومة البريطانية وهى حقوق الرعى فى إقليم هود . وتبع هذا محاولة حكومة أثيوبيا ضمان ولاء الصوماليين الذين يدخلون ضمن الحدود الأثيوبية وجذب الجمهورية الجديدة إلى نوع من الاتحاد الفدرالى مع أثيوبيا كما فعلت مع أرتريا . ووعدت أثيوبيا الصوماليين بحفر الآبار ، وفتح المدارس ، وبناء المستشفيات ، فضلا عن إقامة مشروعات توليد القوى الكهربائية على نهرى جوبا وشبيلى ، ولكن الصوماليين عارضوا كل تسوية مع أثيوبيا ، مما أدى بحكومة الصومال لأن تنفق ٢٠٪ من ميزانيتها عام ١٩٦٣ على المجهود الحربى.

الحدود الصومالية الكينية

ورغم الاتفاق على الحدود الصومالية الكينية بين ايطاليا وبريطانيا ، فقد أدى ضغط الصوماليين المتزايد على قبائل الجالا فى شمال شرق كينيا إلى زحزحتهم إلى القرب من النهر ، فقد انخفض عدد الصوماليين فى كينيا عام ١٩٢١ نتيجة تنازل بريطانيا عن الإقليم الواقع بين نهر جوبا والحدود الحالية مكافأة لإيطاليا على اشتراكها فى الحرب العالمية الأولى . وقد اتفق على خط للحدود يبعد ٦٠ ميلا شرق نهر تانا يعرف بخط الصومال Somali Line ومنعت هجرة الصوماليين إلى الغرب من هذا الخط ، وذلك لحماية قبائل الجالا ، ولكن هذا الإجراء بدوره لم يصادف نجاحا يذكر نظراً لأن الجماعات

الصومالية فى الوقت الحاضر تعيش على مرمى عشرة أميال من الضفة الشرقية لنهر تانا .

وبينما يتصف النزاع الصومالى الأثيوبى بالقدم نجد النزاع الصومالى الكينى أو طلب صومالى كينيا بالانضمام إلى الصومال لايرجع إلا لعام ١٩٦١ . وقد اتفق الحزبان اللذان تمثلان صومالى كينيا فى مطالبهما للمستقبل . وتتمثل هذه المطالب فى عمل استفتاء فى مديرية الحدود الشمالى N.F.D. فى كينيا التى يعيش الصوماليون فى شرقيها والبورون فى غربيها ، وهؤلاء أقرب إلى الصوماليين منهم إلى أهل كينيا . ويشرف على الاستفتاء أعضاء من هيئة الأمم المتحدة ولكن من غير الأعضاء الافريقيين ، وذلك بعد انسحاب قوات البوليس والجيش التابعة لكينيا من الإقليم . هذا ولايؤيد قضية أهل الصومال مع كينيا كونهم يرتبطون حضاريا بأهل جمهورية الصومال فحسب ، بل لأن خط الحدود الهندسى يفصل بين المراعى الصيفية والمراعى الشتوية للقبائل ، فضلا عن بعد هذا الإقليم عن بقية كينيا ، وبطبيعة الحال لانجد أى حزب من الأحزاب المتصارعة فى كينيا يوافق على اقتطاع نحو ٤ مساحة كينيا وهى التى تكون المديرية الشمالية .

الحدود الصومالية مع الصومال الفرنسى

ذكرنا أن فرنسا تقدمت لتحتل موقعا استراتيجيا على مدخل البحر الأحمر فى منافستها الاستعمارية مع بريطانيا وأنها رفعت علمها على « أوبوك » ثم توسعت بعد ذلك بالاتفاق مع مشايخ الدناكل وعيسى مما حفز بريطانيا على الاتفاق معها على خط للحدود بين منطقتى نفوذهما . وسار هذا الخط فى منتصف المسافة تقريبا بين زيلع وجيبوتى ، ونقلت فرنسا مركزها الإدارى إلى جيبوتى عام ١٨٩٢

واعترف منليك امبراطور الحبشة عام ١٨٩٦ بالنفوذ الفرنسى ووقع اتفاقية لمد خط حديدى إلى أديس أبابا وانتهى مد هذا الخط عام ١٩١٧ .

ويمتد إقليم أفاروعيسى (تغيرت تسمية الصومال الفرنسى منذ عام ١٩٦٧) فى مساحة ٩٠٠٠ ميل ٢ ويعيش فيه نحو ١٠٠ ألف نسمة . ويزيد عدد السكان أو ينقص بحسب تحركات القبائل منه إلى الصومال وأثيوبيا ، وتقدر الزيادة والنقص بما يتراوح بين ١٠ ، ٢٠٪ من مجموع السكان . كما يقدر عدد الصوماليين فيه بنحو ٣٧ ألف نسمة يعيشون بصفة دائمة هناك ، ويشغلون نحو نصف مساحة الإقليم ،وهذا هوسبب مطالبة جمهورية الصومال بهذه المساحة . وحتى لايقال بأن الصومال يريد توسعا فى المساحة كان مطلب جمهورية الصومال باستقلال الصومال الفرنسى . وقامت مظاهرات ضد فرنسا أثناء زيارة الرئيس ديجول لجيبوتى عام ١٩٦٦ ، فصرح ديجول بأن حكومته لاتضع عقبات إذا كان الصومال الفرنسى يود الاستقلال . وسارع الإمبراطور هيلاسلاسى بعقد مؤتمر صحفى فى سبتمبر (أيلول) من ذلك العام بأن الصومال الفرنسى جزء من أثيوبيا. وتجمد الموقف منذ استفتاء عام ١٩٦٧ الذى عملت فرنسا على أن تكون نتيجته رغبة سكان الإقليم فى البقاء مع فرنسا ، وهذا مايتفق أيضاً مع المصالح الإثيوبية .

REFERANCES

Africa, An International Business, Economic, Political, Monthly London, 3 : 1971, 26, 1973.

Box, T.W., "Namadism and Land use in Somalia", Economic. Development and Cultural Change, Jan. 1971, pp. 222 - 8.

Castagne, A., "Somali", International Concilliation, March, 1959.

Drysdale, J. "The Somali Dispute", London, 1964.

F A O , "Hides and Skins and Leather Industries", Report to the Government of Somalia, no. 1989, Rome 1965.

———— "Livestock Development Survey of Somalia", Report No. AN/SF 66 : 44, Rome 1966.

Legum, C., "Africa Contemporary Record", London, 1970 — 1.

Leo-Silberman, Change and Conflict in the Horn of Africa, Foreign Affairs, 37/4/1959.

———— "Why was the Haud Ceded, Chaiers d'etudes Africane, 5 : 1962.

Lewis, I.M., "Pan Africanism and Pan Somalism", J. Modern African Studies, i 1963.

———— "The Modern History of Somaliland, London, 1965.

Touval, S. "Somali Nationalism, Harvard U.P., 1963.

د . محمد عبد الغنى سعودى : الاقتصاد الأفريقى والتجارة الدولية القاهرة ١٩٧٣ .

* * *